الجمعية الشرعية الرئيسية
لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية
هيئة علماء الجمعية الشرعية

ملفات ساخنة

قضايا وهموم الأمة الإسلامية

١٠

(سجن أبو غريب - الأسرى المصريون -
لبنان وشبكة الاتصالات)

د. رضا الطيب
الأمين العام للجمعيات الشرعية
وعضو هيئة العلماء

الجمعية الشرعية الرئيسية

لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية

هيئة علماء الجمعية الشرعية

ملفات ساخنة

قضايا وهموم الأمة الإسلامية



(سجن أبو غريب - الأسرى المصريون - لبنان وشبكة الاتصالات)

د. رضا الطيب

الأمين العام للجمعيات الشرعية

وعضو هيئة العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وخاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد النبى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فإن الأمم العظيمة والشعوب العريقة.. تولد بعقيدتها.. وتحيا بذاكرتها.

والذاكرة.. هى الروح التى تسرى فى جسد الأمة فيطول بقاؤها.. وهى الدماء التى تتدفق فى عروقها فتشتد عافيتها.

وبالذاكرة.. تتذكر الشعوب أحداث ماضيها.. وتتفهمها وتتدبر معانيها.. وتستخلص العبر منها.. ودروس ما فيها.

وبالذاكرة.. تتذكر الأمم عناصر قوتها وأسباب رفعتها فيما مضى من تاريخها فتبنى حاضرها ومستقبلها على نهجها.

وعندما تذبل الذاكرة فى أمة من الأمم.. تذبل، وعندما تموت.. تموت.

وفى الصفحات التالية نتناول تباعًا بعض أحداث وقضايا الأمة الإسلامية العظيمة وهموم المسلمين.. نعرضها ونحللها لتعيش فى ذاكرة الأمة وتحيا بها.

□ (أبــو غـــريـــب) ...

حتـــى لا ينسى المسلمون

□ إسرائيل والأسرى المصريون...

حتـــى لا ينسى المسلمون

□ لبنان وشبكة الاتصالات...

نصـــر جديـــد للمقاومة

(أبو غريب).. حتى لا ينسى المسلمون

نشر هذا الملف في العدد الرابع والأربعين السنة الرابعة
من مجلـــة التبيـــان بتاريـــخ
ربيع الأول ١٤٢٩هـ • مارس ٢٠٠٨م

مقدمة

هذه ليست قصة من قصص الخيال.. وإنما حقيقة عاشها التاريخ وتوارثتها الأجيال.. في مدينة (عمورية) في بلاد الروم الصليبيين وعلى تخوم دولة خلافة المسلمين.. وفي أحد أسواق المدينة جلست امرأة مسلمة.. ومن خلفها جاء رومي صليبي خبيث أراد أن يسخر منها ويستهزئ بها.. ومن حيث لا تشعر ربط ذيل جلبابها بغطاء رأسها.. فلما قامت انكشف ما تحت ثيابها.. وأخذ الرومي ورفاقه يضحكون في سعادة ويقهقهون.. وعندما نظرت المرأة حولها وجدت غالبية رواد السوق من الصليبيين، ولم تجد من ينتصر لها من المسلمين.. فصرخت بأعلى صوتها (وامعتصماااه) حتى بلغ صوتها عنان السماء.. وعن قرب كان أحد المسلمين يرقب ما حدث.

في اليوم التالي انطلق الرجل إلى (بغداد) عاصمة دولة الخلافة الإسلامية في عصر القوة والمجد.. فلما وصلها قصد قصر الخليفة العباسي (المعتصم بالله) واستأذن ثم دخل عليه في مجلسه وقد مر من الليل شطر فأخبره بما حدث.. وأضاف الرجل أن المسلمة عندما استغاثت قال لها الرومي مستهزئاً: انتظري حتى يأتي إليك المعتصم على فرس أبلج (ذو اللونين الأبيض والبني).

وتروي كتب التاريخ أن (المعتصم) انتفض واقفاً وصرخ من فوره: (إليَّ بفرس أبلج.. وإليَّ بثلاثمائة فارس كل منهم على فرس أبلج) وانطلق بهم

من فوره يسابقون الريح لا يلوون على شيء.. ثم انطلقت من ورائه جيوش المسلمين، وصدى استغاثة المسلمة لا يفارق أذنيه.. وعندما وصل الخليفة إلى (عمورية) طلب تسليمه الرومى للقصاص فلما رفضت الروم هاجم المدينة ودمر أسوارها واقتحم أبوابها ظافراً منتصرا.. فلما دخلها قال: دلونى على السوق.. فدلوه عليها.. فقال: أين المكان الذى سخر فيه الرومى من المسلمة؟.. فأخذوه إليه فقال: إلىَّ بالمسلمة وكانت فى المدينة.. فجاءوا بها وهى تشعر بالخوف والهلع من أحداث الحرب والقتال.. فطمأنها الخليفة وقال: هونى عليك يا أختاه.. أأنت التى استغثت بالمعتصم وصرخت (وامعتصماه)؟ قالت: نعم.. فقال لها وهو يحنى رأسه تواضعاً لله: لبيك يا أختاه.. أنا المعتصم.. ها قد جئت إليك على فرس أبلج ومعى ثلاثمائة فارس مسلم على ثلاثمائة فرس أبلج.. فلبيك.. ثم أمر الخليفة بإحضار الرومى الصليبى وكل من شاركه فعلته الخبيثة فأوقع بهم القصاص على الملأ ليعلم الناس.. ولتعلم الدنيا بأسرها أن المسلمة مصونة عفيفة لها من يحميها ويدافع عنها ولو فى قلب بلاد الصليبيين.

وتمر السنون والقرون.. وتنتقل الأحداث من (عمورية) على حدود دولة الإسلام إلى (بغداد) عاصمة المعتصم وقلب بلاد المسلمين.. وتتغير الأحوال فقد ذهب المعتصم وجاء أحفاد له لا يذكرون بأسه.. ولا اسمه.. ولكن أحفاد الروم الصليبيين لم ينسوا فجاءوا من أمريكا وأوروبا ليثأروا لأجدادهم.

وبالخيانة والعمالة.. وبالتواطؤ من بعض أحفاد المعتصم.. حكاماً..

ومحكومين.. دخل الصليبيون الأمريكان والأوروبيون بغداد واحتلوا قصر (المعتصم) وبحثوا عنه فلم يجدوه.. وعندها استباحوا المدينة فأخذوا نساء المسلمين سبايا ورجالهم أسرى.. وزجوا بهم جميعاً فى غيابات السجون.. وأخذوا يغتصبون النساء ويقتلون الرجال ويهتكون الشرف ويستبيحون الأعراض فى غلٍ وحقدٍ وتشفٍ وقد اطمأنوا إلى غياب المعتصم.

وفى المقابل أخذ الأسرى فى الاستغاثة وطلب النجدة.. يصرخون (وامعتصماااه) حتى طال عليهم الأمد.. ولم يسارع إليهم أحد.. فبح صوتهم ثم سكت.. ولم يأت (المعتصم).. وعندما ذهب رسول يطلب الغوث إلى قصر الخلافة ودخل على الخليفة وقف مصعوقاً.. فقد كان الجالس على كرسى الخلافة هو الرومى الصليبى!! وعن يمينه وشماله وقف حراس شرف يحملون السيوف.. وجوههم مثل وجوه العرب والمسلمين.. وثيابهم مثل ثيابهم.. أما سيوفهم فكانت من الخشب مما يصنع للزينة واللعب.. والحراس جميعهم يهتزون ويتمايلون!! ولما سألهم لماذا يحملون سيوفاً خشبية؟.. ولماذا يهتزون ويتمايلون؟ نظروا إليه فى ازدراء ثم أشاحوا بوجوههم.. واستمروا يهتزون ويتمايلون!! فلما سألهم الرسول عن المعتصم أجابوه فى استغراب.. ومن المعتصم؟!!

لم يكن ذلك كابوساً أسود.. أو حلماً مأساوياً.. أو قصة من قصص الخيال!! وإنما كان حقيقة تنزف لها العيون دماً.. وتنفطر لها القلوب كمداً.. كل ذلك حدث فى بلاد العراق الحبيب فى مدينة بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية

في معتقل كتب عليه من الخارج (أبو غريب).

وفي هذا الملف نتناول إن شاء الله قصة ذلك المعتقل الرهيب وماذا حدث فيه؟. وما تفاصيل المظالم الدامية والانتهاكات المروعة التي شهدتها جدران زنازينه؟. ومن ارتكبها ومن المسئول عنها ولماذا؟. ثم نذكر الدروس والعبر المستفادة من تلك النكبة السوداء.. حتى لا ينسى المسلمون.

(أبو غريب)

●● ولكن.. تعالوا نبدأ القصة من أولها.. ما سجن (أبو غريب)؟ أين يقع؟ ومتى تم بناؤه؟ ولماذا؟

● سجن (أبو غريب) عبارة عن معتقل ضخم رهيب يقع على بعد عشرين كيلو مترا غربي العاصمة العراقية (بغداد) تم بناؤه في الستينيات من القرن الماضي وخصصه الرئيس العراقي السابق (صدام حسين) لتنفيذ أحكام الإعدام الصادرة ضد خصومه والمعارضين له وزوده بأشد آلات التعذيب إيلاماً وأعتى وسائله رعباً.. وعندما سقطت (بغداد) بين يدي التحالف اليهودي الصليبي تعرض السجن مثل غيره من المنشآت العراقية لأعمال السلب والنهب والتخريب.. ولكن سلطات الاحتلال الأمريكي أعادت ترميمه وتجديده وتجهيزه بأحدث أجهزة التنكيل

والتعذيب حتى صار أعتى وأشد رعباً. وقد استضاف هذا السجن ما يقرب من خمسين ألف سجين بين جنباته فى وقت واحد.

وقد قسمت قوات الاحتلال السجن إلى جزءين: الأول حولته إلى متحف تذكارى يشهد على فظائع (صدام حسين) ونظامه.. والثانى خصصته معتقلاً سرياً للتعذيب والتنكيل بالشعب العراقى.

وأخذ الإعلام الأمريكى يتحدث عن سجن (أبو غريب) باعتباره رمزاً لعهد من الرعب والأهوال ولى إلى غير رجعة وشاهداً على التحرر والديموقراطية فى العراق الجديد تحت الاحتلال.. فطلعت علينا الصحف الأمريكية يوم ٢٠ يونيو عام (٢٠٠٣م) بصورة نائب وزير الدفاع الأمريكى (بول وولفوتز) وهو يقف على مدخل السجن ليُرى العالم أنه حرر التراق من ويلاته وأهواله.. كما أخذت قائدة السجن الأمريكية العقيد (كاربنيسكى) مجموعة من الصحفيين فى شهر سبتمبر من نفس العام لتريهم (غرفة الإعدام) فى السجن فى عهده السابق وأخذت تقارن بين حال السجن فى حاضر الاحتلال المشرق وعهد (صدام) البائد المظلم كما

يزعمون.

ولكن قائدة السجن لم تسمح للوفد الصحفى بدخول الجزء الثانى منه حيث كانت تدور داخل زنازينه فى وقت الزيارة نفسه أشد صنوف التعذيب التى يندى لها جبين الإنسانية والتى كان كل من نائب وزير الدفاع وقائدة السجن الأمريكيين على دراية تامة بتفاصيلها الدامية.

وفى واحد من مشاهد الكذب والتبجح السافر.. وفى الوقت الذى كانت تتم فيه كل تلك الانتهاكات فى أجواء من الرعب والأهوال يقف نائب الوزير على باب السجن ليعلن للعالم أجمع أنه قد تم تدمير سجن (أبو غريب).. (باستيل) القرن العشرين: وتحطيم أغلال الشعب العراقى واستعادة حريته وكرامته.. ثم تزيد قائدة السجن فى النفاق والتبجح فتقول فى مقابلة مع صحيفة (سانت بيترسبرج تايمز): إن السجناء العراقيين فى سجن (أبو غريب) يتلقون معاملة طيبة ويعيشون فى ظروف أفضل مما فى بيوتهم ونحن نخشى ألا يقبلوا مغادرة السجن عند الإفراج عنهم.. تقول ذلك فى الوقت نفسه الذى كانت كل تلك الصور

الفظيعة التى أثارت الهلع والفزع فى النفوس فى العالم أجمع يتم تصويرها لتنتشر على الدنيا كلها شاهدة على الكذب والافتراء وقلب الحقائق الذى تمارسه القوات الأمريكية فى العراق.

هذا وقد تم إغلاق هذا السجن الرهيب بعد الفضائح المدوية التى وقعت فيه وذلك فى أوائل عام (٢٠٠٥م).

بداية النكبة

●● وكيف بدأت قصة (أبو غريب)؟

● بدأت القصة عندما قام أحد الجنود الأمريكيين المتورطين فى الفضيحة ويدعى (تشارلز جارنر) متفاخراً باستعراض بعض الصور أمام أحد زملائه ويدعى (جوزيف داربى) عن أعمال للتعذيب والانتهاكات الجنسية ارتكبها فى بعض سجون العراق ومنها سجن (أبو غريب).. ولما رأى الأخير تلك الصور أصيب بالفزع وسارع بإبلاغ قيادته عنها.. وهنا أصدر قائد قوات التحالف المحتلة للعراق فى ذلك الوقت الجنرال (ريكاردو سانشيز) قراراً بإجراء تحقيق فى تلك الانتهاكات التى حدثت فى الفترة من ١٩ نوفمبر (٢٠٠٣م) وحتى صدور القرار فى ١٩ يناير

(٢٠٠٤م) أى خلال ثلاثة أشهر فقط وليس طوال فترة الاحتلال.. وكلف (سانشيز) الجنرال الأمريكى الفلبينى الأصل (أنطونيو تاجوبا) المشهود له بالكفاءة والالتزام بتولى التحقيق.

وفى إبريل عام (٢٠٠٤م) ظهرت نتيجة التحقيق فى تقرير مكون من ٥٣ صفحة أُطلق عليه (تقرير تاجوبا) وجاء فيه أن العديد من أفراد قوات حرس الشرطة العسكرية (السرية ٣٧٢ من الكتيبة ١٣٢٠ من اللواء ٨٠٠ شرطة عسكرية) قد مارسوا مجموعة من الانتهاكات الجسيمة بصورة منهجية ومنظمة ضد السجناء المحتجزين فى سجن (أبو غريب) وأن العديد من السجناء تعرضوا لممارسات سادية وعنيفة تحمل جميعها طابعاً جنائياً يوجب المحاكمة.

وأشار الجنرال إلى أن مصدر المعلومات لديه كانت الصور الفوتوغرافية وأفلام الفيديو التى تم تصويرها للضحايا بالإضافة إلى شهادات المعتقلين أنفسهم.. ثم اعترافات الجنود الذين شاركوا فى التعذيب والتحقيق مع السجناء.

ورصد التقرير مجموعة من الانتهاكات المريعة

والممارسات الدامية التى تم ارتكابها بصورة منهجية ضد هؤلاء المعتقلين ومنها:

١- إجبار الجنود للأسرى على الانبطاح على الأرض ثم القفز بأحذيتهم العسكرية على أجسادهم العارية.

٢- تصوير السجناء والسجينات فوتوغرافياً وبكاميرات الفيديو وهم عراة تماماً.

٣- إجبار مجموعات من السجناء العراة على الاشتراك فى أوضاع جنسية فاضحة.

٤- تكويم الأجساد العارية للسجناء فوق بعضها فى شكل هرمى فى أوضاع مخلة ومهينة.

٥- إجبار السجناء الرجال على ارتداء ملابس داخلية للنساء. أو وضعها على رءوسهم

٦- توصيل الكهرباء بأطراف السجناء وأعضائهم التناسلية والاستمتاع بمنظرهم وهم ينتفضون تحت الصعق الكهربى.

٧- وضع أطواق الكلاب حول أعناق السجناء ثم جرهم بالسلاسل على الأرض وإجبارهم على التصرف مثل الكلاب.

٨- استخدام الكلاب العسكرية المدربة لتخويف السجناء ونهش لحومهم وتمزيق جلودهم.

٩- الاعتداء جنسياً على السجينات العراقيات واغتصابهن وتجريدهن من ثيابهن وتصويرهن عرايا أمام أهليهن وذويهن.

١٠- التقاط الجنود صوراً تذكارية بجوار جثث ضحاياهم من السجناء العراقيين الذين ماتوا تحت التعذيب.

ثم زاد التحقيق في كشف المآسي المبكية على الشرف الضائع والكرامة المهدرة والأعراض المستباحة لنساء ورجال العرب والمسلمين في العراق ومنها:

١- إجبار الرجال على ممارسة الجنس مع بعضهم البعض عن طريق الفم.

٢- وضع العصى الغليظة في أدبار الرجال والنساء بعد غمسها في سوائل كيميائية حارقة.

٣- ضرب الرجال بهراوات غليظة ومؤخرات البنادق على أعضائهم التناسلية.

٤- سكب سوائل كاوية على أجساد السجناء وفي

أدبارهم وسكب الماء المثلج على أجسادهم العارية.

ويقول الجنرال (أنطونيو تاجوبا) فى إحدى عبارات التقرير: (إنه فى الفترة بين أكتوبر وديسمبر عام (٢٠٠٤م) ارتكب الجيش الأمريكى أعمالاً تعذيبية إجرامية سادية شاذة وبذيئة) وحلل مسئول أمريكى أفعال هؤلاء البرابرة مع المعتقلين بأنهم يعتبرونهم حيوانات لا تستحق المعاملة الإنسانية.

وذكر التقرير عدة أسماء تورط أصحابها بشكل كبير ومباشر فى هذه الممارسات وبناء عليه تم توجيه مجموعة من التهم إليهم وتحويلهم إلى المحاكمة. ومن هذه الأسماء:

قائدة السجن العقيد (جانيس كاربينسكى) - الرقيب (شارلز جيرنر) - الرقيب (إيفان فردريك) الرقيب (جافال ديفيز) - المجند (جيرمى سيفتز)- المجندة (ليندى إنجلاند)- المجند (ميجان أمبول)- المجندة (سابرينا هيرمان).

وبداية من أكتوبر عام (٢٠٠٥م) جرت محاكمات لعدد ٦٥ من الجنود والضباط والمجندات الأمريكان المتورطين فى عمليات التعذيب والاغتصاب.. وتم

الحكم على بعضهم بأحكام تراوحت بين عقوبات تأديبية وبين السجن لمدة عشر سنوات.. ومنها الحكم على (تشارلز جارنر) بالسجن لمدة عشر سنوات.. وعلى (إيفان فردريك) ثمانى سنوات.. وعلى (سابرينا هيرمان) خمس سنوات.. وعلى (ليندى إنجلاند) ثلاث سنوات.

إعلان الفضيحة

●● ومتى تم الإعلان عن فضيحة (أبو غريب)؟ ومن فعل ذلك؟

● حدث ذلك فى مساء يوم الأربعاء ١٨ أبريل عام (٢٠٠٤م) فى البرنامج التليفزيونى الشهير (٦٠ دقيقة) الذى يذاع على قناة التلفاز الأمريكى (س. بى. إس). وكان موضوع الحلقة هو (التعذيب فى سجون العراق) والنموذج لذلك سجن (أبو غريب).. وفى تلك الليلة بكى العالم أجمع على الأسرى والسجناء من النساء والرجال المعتقلين فى سجن (أبو غريب) بين من عُلِّق عارياً فى أسلاك الكهرباء لتصعقه.. ومن سُحب على الأرض وفى عنقه طوق للكلاب.. ومن أُجبر على ممارسة اللواط والشذوذ الجنسى.. وبكت القلوب وتحجرت الدموع فى العيون أمام مشاهد الفتيات

المعتقلات اللاتى اغتصبهن الجنود الأمريكان البرابرة وخرجن حوامل من السجن يحملن المذلة والعار بلا ذنب ارتكبنه ولا جريرة أتين بها وكان مصير معظمهن إما القتل بأيدى الأهل.. أو الانتحار بأيديهن.. وعندما بدأ البرنامج كانت صدمة العالم بلا حدود.. وتخطى فزعه كل خيال. فقد رأى صوراً تشيب لها الولدان وسمع صرخات واستغاثات تتزلزل لها القلوب وتقشعر منها الأبدان.. وانفجرت صدور البشر من الغضب واشتعلت نفوسهم من الغيظ والكمد وهى ترى وتسمع ذلك التقرير المفجع للجنرال الأمريكى.

كل هذا التعذيب الذى أصاب الناس بالذهول.. كل تلك الصور التى أثارت فيهم الفزع.. كل تلك الاستغاثات والاسترحامات التى لم تجد قلوباً رحيمة ولا آذاناً صاغية.. كل تلك الصرخات التى قال فيها نبينا الكريم ﷺ: "اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" تلك الدعوة التى قال فيها سبحانه وتعالى فى حديثه القدسى: "وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين".. كل تلك الأحداث التى تتزلزل لها القلوب وتقشعر منها الجلود وتتفكك لها الأوصال.. كل

ذلك وقع بالفعل لإخواننا وأخواتنا الأحباء من العرب المسلمين فى سجون العراق وعلى رأسها ذلك السجن الرهيب (أبو غريب) وعلى أيدى تلك الفئة الفاجرة من الشياطين التى تجسدت فى صورة البشر وارتسمت على أنيابها كل معانى الخسة والوضاعة.. وطفحت من أفواهها كل روائح النتن والشذوذ والسادية والانحراف.. فإذا كانت الصور بهذه البشاعة.. فكيف كانت الحقيقة؟.. وإذا كانت الصور قد سببت لنا ذلك الكم الرهيب من الألم والحزن والأسى والشعور بالذل والقهر والمهانة.. فماذا سببت الحقيقة لأصحابها وهم الذين عاشوا أحداثها لحظة بلحظة ودفعوا ثمنها من آلامهم وصرخاتهم وأنينهم ومذلتهم وهوانهم الساعات والأيام والأسابيع والشهور الطوال؟!

وقبل أن نتحول عن تقرير الجنرال (تاجوبا) وهو التقرير الرسمى الذى اعترفت فيه الإدارة الأمريكية بارتكابها للفظائع والأهوال فى سجن (أبو غريب) لم يَفُت ذلك الرجل بل أصرَّ على أن يحرق قلوبنا وأن يبكينا بكاءً مراً عندما ذكر واقعة حضرها أحد شهود العيان فى ذلك السجن تعرف فيها على طفل وشقيقه

الأول فى الثالثة عشرة والثانى فى العاشرة من عمرهما جاء بهما البرابرة الأمريكان ليعذبوهما أمام شقيقهما الأكبر لإجباره على الاعتراف بانضمامه إلى المقاومة فى الفالوجة!! ياالله.. طفلان بريئان!! زهرتان نديتان!! لايدركان من الحياة شيئاً الا ما فى الطفولة من براءة ونقاء.. يشبعهما المجرمون الشياطين لكماً بالأيدى وركلاً بالأقدام حتى يعلو صراخهما وينهار أخوهما.. فهل يتذكر المسلمون ذلك؟.. أم أنهم مازالوا يحملون سيوفهم الخشبية يرقصون ويتمايلون؟

الأسرى يتكلمون

●● هذا ما جاء فى تقرير الجنرال (تاجوبا) فماذا عن الأسرى أنفسهم؟ هل هناك من تقدم منهم ليقص على العالم ما حدث له فى سجن (أبو غريب) الرهيب؟

● فى ١٩ مارس عام (٢٠٠٤م) نشرت جريدة (الواشنطن بوست) الأمريكية تفاصيل محزنة ومبكية وموثقة عن عدد كبير من الجرائم التى ارتكبها الجنود البرابرة الأمريكان ضد الأسرى العراقيين البؤساء فى سجن (أبو غريب).. وقد تم تسجيل هذه الشهادات أمام لجنة التحقيق الأمريكية بدءاً من تاريخ ١٧ يناير عام

(٢٠٠٤م). ومن أصحاب هذه الشهادات:

١- الأسير عبد الوهاب يوسف.. يقول: فى يوم اصطحبنى الجنود إلى غرفة مظلمة وخلعوا ملابسى حتى أصبحت عارياً تماما ثم أجبرونى على وضع فمى على عضو حساس لرجل كان موجوداً فى تلك الغرفة.

٢- الأسير سليمان داود.. يقول: كنت أرى أكواماً من المعتقلين العراة يُجْبَرون على ممارسة اللواط بينما الجندى المدعو (جرينز) ومن معه من زبانية التعذيب يضحكون ضحكات هستيرية فى سعادة خبيثة وغلٍ أسود ومعهم ثلاث مجندات أمريكيات كن يصرخن من فرط السادية والانحراف كلما شاهدن لواط الرجال ببعضهم.

٣- الأسير محمد جمعة.. يقول: شاهدت ضابطاً أمريكياً وجه مسدسه نحو مجموعة من العراقيين الأسرى كان من بينهم أب وابنه أجبرهما على ممارسة اللواط.. كان الأب والابن يبكيان طلباً للرحمة والشفقة.. لكن القسوة والتوحش والتمتع بإذلال المسلمين كان لكل ذلك اليد الطولى فى قلوب الزبانية

من البرابرة الأمريكان.. إننا على يقين من أن ذلك الأب والابن قد ظلا يصرخان.. وامـتـعـصـمـااااه.. وامعتصمااااه.. وامعتصمااااه.. ولكن المعتصم لم يلب النداء.. كانا يعتقدان أن خلفاء (المعتصم) الذين يحكمون بلاد المسلمين حولهم سوف ينتفضون لنجدتهم وغوثهم كما فعل جَدهم.. ولكن الواقع المرير أثبت لهم أنه ليس هناك مـعـتـصـم.. ولا خليـفـة للمعتصم..أو أنه هناك ولكنه لا يسمع.. أو أنه يسمع ولكنه مشغول أو متشاغل عن نجدتهم.

٤- الأسير صهيب الباز.. يقول: جاءوا برجل وابن له لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره وكلاهما مغطى الوجه وجردوهما من ملابسهما حتى أصبحا عاريين ثم أوسعوا الصبى لكماً بالأيدى وركلاً بالأقدام.. والصبى يصرخ ويستغيث طالباً الرحمة.. وهم يضحكون ويتقاذفونه فيما بينهم حتى سقط على الأرض مغشياً عليه فأفرغوا عليه دلواً من الماء البارد فأفاق.. وبعدها رفعوا غطاء الوجه عن رأس الصبى وأبيه معاً.. كانت المفاجأة التى أذهلت الرجل لما حدث لابنه وهو عاجز عن حمايته أو الدفاع عنه فشعر

بانكسار كبير ومذلة شديدة.. أما الصبى فقد طأطأ رأسه وخفض بصره إلى الأرض خجلاً من رؤية والده عارياً.. ثم أخذ الاثنان فى البكاء والنحيب.. كل ذلك والعرب والمسلمون فى الخارج يحملون سيوفهم.. يرقصون ويتمايلون!!

٥- أما الأسير (حيدر صابر) وهو صاحب الصورة الشهيرة التى يبدو فيها عارياً والمجندة الأمريكية (ليندى إنجلاند) تشير إلى عضوه الذكرى فيقول: أخذنى الجنود إلى غرفة التحقيق ويداى وقدماى مكبلتان وفوق رأسى كيس أسود لا أرى منه شيئاً ثم أخذوا فى تجريدى من ملابسى حتى أصبحت عارياً تماماً.. وكان التجريد من الملابس والتعرية الكاملة للأسير هى الخطوة الأولى قبل التحقيق معه لإذلال كرامته وكسر إرادته.. ويكمل الأسير فيقول: ثم رفعوا الكيس عن رأسى فوجدت ضابطة أمريكية تدعى (مايز) تقف أمامى وفوجئت بها تأمرنى أن أتحسس جزءاً حساساً من جسدى أمامها ثم غطوا رأسى مرة أخرى وعندما رفعوا الغطاء وجدت أمامى أحد أصدقائى راكعاً على الأرض وفمه فى مواجهة عضوى الذكرى..

ثم أمرونى بالنوم على بطنى على الأرض وأحضروا معتقلاً آخر عارياً تماماً فأجبروه على النوم فوقى.. كل ذلك وهم يضحكون فى سعادةٍ بالغةٍ ويقهقهون فى حقدٍ أسود وغلٍ بغيض ويلتقطون الصور لكل ما يفعلونه بنا.

ومن المفارقات الغريبة أن (حيدر صابر) كان من أشد المرحبين بدخول الجيش الأمريكى إلى العراق حيث اعتُقل فى عهد (صدام حسين) ثمانى سنوات تعرض خلالها للتعذيب فى نفس السجن.. لذلك فقد أصيب بصدمة كبيرة عندما وجد نفسه سجيناً للأمريكان الذين كانوا أمله فى الحرية.. والحقيقة أن حيدر قد أخطأ.. فالأمريكان جاءوا فعلاً من أجل الحرية!! ولكن ليست حريته وحرية العراقيين.. وإنما حريتهم هم فى تدمير دولة العراق.. حريتهم فى سلب ونهب خيراته وثرواته.. حريتهم فى اغتصاب العراقيات العفيفات.. حريتهم فى القتل العشوائى لكل من يقابلهم.. حريتهم فى التعذيب وانتهاك الشرف واستباحة الأعراض وتدمير آدمية كل مسلم على أرض العراق.. نعم هم جاءوا من أجل تلك الحرية!!!

ويكمل حيدر اعترافاته قائلاً إنه أُرغم مع رجال آخرين على التعرى وممارسة الاستمناء والشذوذ.. ثم أرغمهم الجنود على التكوم على شكل هرم بشرى من الأسرى العراة.. ثم أوقفوه أمام المجندة الأمريكية التى كانت تصورهم فأمرته بالاستمناء وهى غارقة فى الضحك وتتلفظ بكلمات بذيئة وعندما حاول الاعتراض أوسعوه ضرباً حتى نَفَّذَ ما طلبوه ثم ربطوه مع بقية المجموعة من رقابهم كالكلاب وأمروه أن يجلس فى وضع الكلب وأن يقوم بحركاته.

كل ذلك يفعله البرابرة الأمريكان بأسير مسلم فى قلب بلاد المسلمين.. تحيط به بلاد مسلمة تملك الملايين من الجنود والآلاف من الدبابات والمئات من الطائرات فى جيوش جرارة تنفق عليها مئات المليارات من الدولارات من أموال المسلمين.. وإذا سألت ماذا فعلت تلك الجيوش لفك أسر ذلك الأسير؟.. جاءتك الإجابة فى دهشة واستغراب: وما لهذه الجيوش والأسير؟!! وهل صُنِعَت تلك الجيوش لمثل هذه الأمور؟!!!

اعترافات الصحف الغربية

فى تقرير لجريدة (الواشنطن بوست) نشرت صورة

معتقل عراقى جثة هامدة ملقاة على الأرض وقد تشوه وجهه وغطت الدماء رأسه وصدره وذراعه الأيسر.. كذلك فقد تم كسر أنفه وتحطيم أضلاعه.. أما الذراع الأيمن فلم يكن موجوداً.

كما نشرت صورة لجندى أمريكى فوق هرم من الأجساد العارية لسجناء عراقيين وهو يبتسم ويدخن السيجار.. وصورة لفتاة عراقية سجينة رُفع قميصها عن جسدها لتقف عارية تماماً أمام جلاديها الذين أخذوا ينظرون إليها فى خسة وضعة.. أما ما أثار المشاعر وأدمى القلوب على الشرف الضائع والأعراض المستباحة فهى عدة صور لجنود أمريكيين يمارسون الجنس مع المجندات الأمريكيات أمام عتبات المساجد دون احترام لحرمة مكان أو قداسة أديان.

كل هذه الصور ظهر فيها الجنود والمحققون الأمريكان البرابرة وهم يضحكون بصورة هستيرية تعكس مدى ساديتهم وتلذذهم بتعذيب السجناء واستمتاعهم بإذلال كرامتهم وانتهاك حرماتهم.. وإثباتاً للمصداقية فقد أظهرت الجريدة صور البطاقات العسكرية لهؤلاء الجنود والضباط للتأكيد

على أن ما نشرته من صور هو حقيقة وليس من وحى الخيال.. وقد بينت الجريدة أن هذه الصور قد تم التقاطها وتناقلها بين الجنود فى سرية الشرطة العسكرية رقم (٣٧٢) .. ثم تسترسل الجريدة فى تقريرها فتبين أن هؤلاء الضباط والجنود قد اعتادوا على إجبار سجنائهم على ممارسة اللواط والعادة السرية لتصويرهم فى أوضاع مذلة ومهينة لكسر إرادتهم وإذلال رجولتهم وجعلهم أكثر ضعفاً فى استجوابهم واستخلاص الاعترافات منهم.. يقول محامى أحد الجنود المتهمين بعمليات التعذيب.. إن من يتم التحقيق معهم من الجنود الأمريكان والضباط الصغار هم كبش الفداء للمسئولين الكبار بوزارة الدفاع والمخابرات الأمريكية.. وأنهم كانوا ينفذون أوامر هؤلاء القادة.

كذلك فقد نشرت جريدة (داجبلاديت) النرويجية فى ٢٥ أبريل عام (٢٠٠٣م) أى بعد احتلال البرابرة الأمريكان للعراق مباشرة صوراً لسجناء عراقيين عراة تماماً يسوقهم جنود أمريكيون وقد كتبوا على أجسادهم عبارات مهينة وبذيئة.. ثم أضافت صحيفة

(نيويورك تايمز) بعد ذلك بثلاثة أيام فيما يتعلق بذلك الخبر أن الجنود الأمريكان قد أحرقوا ثياب هؤلاء المعتقلين العراة قبل أن يلقوا بهم فى الشارع فى حالة عرى كامل!!!

حادث آخر تشيب له الولدان: فقد تحدث ضابط المارينز (جيمى ماس) إلى صحيفة لومانيتيه الفرنسية فى مايو (٢٠٠٤م) عن الفظائع البشعة التى قام بها البرابرة الأمريكان فى العراق فقال: إن من بين التعليمات التى كان يتلقاها وينفذها هو وزملاؤه أن يلقوا بالحلوى ولعب الأطفال أمام أبواب المدارس عند خروج الأطفال منها.. وعندما يتجمعون لالتقاطها من الأرض كان يندفع هو وزملاؤه بدباباتهم فيدهسونهم ويسحقون أجسادهم الصغيرة تحت جنازيرها فى سعادة سادية وشهوة شيطانية.

جذور الشر

●● ولكن ما السبب وما الدوافع التى دفعت بهؤلاء الجنود للقيام بتلك الأفعال الرهيبة فى الأسرى العرب والمسلمين بتلك النشوة العارمة والسعادة البالغة؟ وذلك الحقد والغل والتشفى؟

● فى البداية يجب أن نعلم شيئاً عن هؤلاء

الأمـريكان الـبـرابرة المتـعطشين للدمـاء الـغـارقين فى السـادية و الشـذوذ و الانحـراف الذين ارتكبـوا جـريمة (أبو غريب).. إنـهم قد جـمـعـوا كل مـا فى الشـيطان من شرور وخبـائث ورذائل وجـاءوا ليـمـارسوها فى بنى البـشـر.. ولـم يكن (أبو غـريب) هـذا أول مـيـادين وحشيتهم وفجورهم.. ولن يكون آخرها.. فهناك مواقف وأحداث فى تاريخهم تشهد على ذلك، منها:

١- أثناء الحرب العدوانية الظالمة على شعب فييتنام البطل الذى أذاقـهم ذل الـهـزيمة لـم يكتف الـبـرابرة الأمريكان بقتل وتعذيب الفييتناميين وتدمير بيوتهم وحرق زراعاتهم وإنما تجسدت فيـهم كل معانى الخسة والضعة عندما أحرقوا قرية بكاملها بقنابل النابالم والفوسفور.. وأبادوها عن بكرة أبيها بكل من فيها من الأطفال والنساء والشيوخ الأبرياء وذلك فى صبيحة يوم ١٦ مارس عام (١٩٦٨م).. تلك القرية هى قرية (ماى لاى) الشـهـيرة التى ظهرت على شاشات التلفاز فى العـالم أجـمع وظهرت فيـهـا صـورة طفلة لا تزيد عن السابعة أو الثامنة من العمر تجرى على الطريق وهى تبكى فى ألم وتصرخ فى فزع وقد احـترق جـسـدها

بالكامل بقنابل النابالم الحارقة وتدلى جلدها فى صورة أبكت البشرية جمعاء وفطرت قلوبها من الألم والحسرة على تلك الطفلة البائسة التى لم ترتكب ذنباً ولم تأت بجريرة فى حق الجنود الأمريكيين الأشاوس.

٢- عرضت إحدى القنوات الفضائية المشهورة فيلماً وثائقياً بصور الجنود الأمريكيين لدى عودتهم إلى بلادهم بعد انتصارهم على اليابانيين فى الحرب العالمية الثانية وضربهم مدينتى هيروشيما ونجازاكى بالقنابل الذرية وقد حمل كل جندى فى عودته هديته إلى أهله وذويه.. ولم تكن تلك الهدية إلا جمجمة لأحد اليابانيين الذين قتلوا فى الحرب حملها معه الجندى الأمريكى ليثبت بها بأسه ويؤكد شجاعته دون أى احترام لحرمة الموت أو إجلال لأجساد الموتى. والغريب والمثير للاشمئزاز أن كثيراً من الأهل والأصدقاء كانوا يبدون سعادتهم لرؤية تلك الجماجم ولم يسأل واحد منهم نفسه عن احتمال أن تكون تلك الجمجمة لطفل فى عمر ابنه.. أو لامرأة فى مكانة أمه.. أو لرجل مثل أبيه!!

٣- أما تلك الحادثة الشنيعة التي لا تدل إلا على

الخسة والضعة التى تشبع بها الجنود الأمريكان فهى ما حدث فى (معركة الفالوجة) العظيمة التى وقعت فى الفترة من ٤/٤ وحتى ١/٥ عام (٢٠٠٤م) حيث أذاق فيها ما لا يزيد عن ألفين من المجاهدين العراقيين الأبطال.. الذل والعار لأكثر من عشرين ألف جندى أمريكى مزودين بأعتى أنواع الأسلحة وأذاقوهم بأس الهزيمة.. فقد تحصن بعض المجاهدين المدافعين عن المدينة فى أحد البيوت وأخذت الصواريخ وقذائف المدفعية والدبابات الأمريكية تنهال عليهم حتى سقطوا جميعاً شهداء إلا واحداً بقى جريحاً.. وعندما دخل الجنود الأمريكيون المنزل وتفحصوا الشهداء وجد أحدهم ذلك الجريح يتحرك فصرخ منادياً زملاءه قائلاً: هنا جريح.. إنه يتحرك.. فما كان من قائده إلا أن أمره بإطلاق الرصاص على رأسه.. وبالفعل أطلق ذلك الجبان الوضيع النار على رأس الجريح الأسير فصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها تشكو إليه فجر الكافرين وتخاذل المسلمين.

ثم تأتى أحداث سجن (أبو غريب) فنسترجع معاً بعض صورها التى ذاعت وانتشرت فى العالم أجمع

ليتأكد لنا مدى الوحشية والهمجية ودرجة الانحطاط والشذوذ والانحراف عن فطرة البشر التى تربى عليها هؤلاء الجنود الشواذ والمجندات المنحرفات الذين يمثلون صفوة الجيش الأمريكى.

إن هؤلاء الجنود الشواذ المنحرفين يجسدون حقيقة المجتمع الأمريكى الزائف الذى تربى أفراده على العنف والشذوذ والانحراف بكل أنواعه فى سادية مأساوية ثم قاموا بممارسة ذلك على أسير ضعيف بائس مكبل بالأغلال لا حول له ولا قوة.. وقد وجد هؤلاء المنحرفون فرصتهم الثمينة لممارسة كل ذلك الخبث فى ذلك السجن الرهيب (أبو غريب) الذى سقط من ذاكرة التاريخ ونسيه العرب والمسلمون.

تاريخ البرابرة

١- إن هذه الأمة (الولايات المتحدة الأمريكية) ليس لها تاريخ مشرف ولا حضارة عريقة.. فقد قامت على إبادة شعب كامل من الهنود الحمر واستئصاله من الوجود فى عنف ووحشية سادية بالقتل والتنكيل وسفك الدماء.. وهى أمة تعيش على امتصاص دماء البشر ونهب ثروات الشعوب.

٢- إن هذه الأمة بعد أن بلغت من الثراء والترف أقصاه أخذت تبحث عن المتعة فيما وراء الفطرة البشرية السليمة فانتشرت بين أبنائها مظاهر الفسق والفجور والشذوذ الجنسى فى أشد صوره انحرافاً وغرابة وانتشرت بينهم كل أنواع الموبقات من القتل والسرقة والاعتداء على الشرف والاغتصاب حتى إن الرجل لا يأمن على نفسه من القتل والسرقة.. والمرأة لا تأمن على نفسها من الخطف والاغتصاب فى قلب شوارع (نيويورك).. وقد صبغ ذلك حياة الأمة بكاملها سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى الدولة.

٣- إن اليهود استطاعوا أن يخترقوا تلك الأمة حتى النخاع لدرجة أنهم استطاعوا أن يغيروا من معتقدهم المسيحى باختراع ما يسمى (المسيحية الصهيونية) التى جعلت من إسرائيل إلهاً لها وجعلت عدوها الأكبر هم العرب والمسلمين.. وقد وصلت هذه العقيدة إلى رأس السلطة فى الدولة الأمريكية فيما عُرف باسم (المحافظون الجدد) الذين أعلنوا الحرب صراحة على الإسلام والمسلمين نيابة عن إسرائيل بكل ما تحمله فى قلبها من حقد عليهم وبغضاء لهم. وهؤلاء هم الذين

أعطوا الضوء الأخضر لزبانيتهم فى سجون العراق لتلغ فى دماء الأسرى المسلمين وتمزق أشلاءهم وتمتهن كرامتهم وتستبيح شرفهم.

٤- أرادت هذه الطغمة اليهودية الصليبية الحاقدة التى يطفح قلبها بالشر أن توجه رسالتين للعرب والمسلمين:

الأولى للمقاومة العراقية الباسلة والمجاهدين فى العراق أن هذا مصير كل من يتصدى لمقاومة الاحتلال الغاشم ويسقط فى يديه.. العار والفضيحة وامتهان الشرف والكرامة حتى لا تعود للرجل رجولته ولا تحتفظ المرأة بشرفها..

والثانية للحكام العرب والمسلمين: أن من لا يسير منهم فى ركاب الدولة الأمريكية ويخضع لسطوتها وجبروتها سوف يكون مصيره ذلك المصير.. وما مصير (صدام حسين) عنهم ببعيد.

٥- أرادت أمريكا أن تسترد بعضاً من هيبتها المفقودة وسطوتها الضائعة وأن تثبت قوتها وطول يدها للعراقيين وللعالم أجمع بعد أن تصاعدت حدة المقاومة بشكل أذهل الجميع وتعرض الجنود

الأمريكان للقتل اليومى والسحل فى الشوارع وشعر برابرة القوات الأمريكية بالمذلة والمهانة.. فأرادوا أن يثبتوا قوتهم وأن يبينوا شدتهم.. وبالفعل حدث ذلك.. ولكن للأسف الشديد فإنهم لم يثبتوا تلك القوة فى ميادين القتال أمام المجاهدين الأبطال.. وإنما أثبتوها فى الظلام وفى غيابات السجون أمام الأسرى البؤساء المكبلين بالأغلال.

الضحايا الأبرياء

●● وهل كل الأسرى فى السجون العراقية الخاضعة للقوات الأمريكية من المجاهدين وأفراد المقاومة العراقية؟

● للأسف الشديد.. فقد أثبتت التحقيقات التى تمت بعد انكشاف فضائح التعذيب أن معظم المعتقلين فى سجن (أبو غريب) من الرجال والنساء ليس لهم أى علاقة بالمقاومة ولم يقم أى منهم بأى عمل مسلح أو غير مسلح ضد القوات الأمريكية المحتلة وإنما وصل هؤلاء إلى أعماق ذلك السجن الرهيب عن طريق عدة وسائل خبيثة:

الأولى: وَضْع أسماء كثير من هؤلاء الأبرياء على لائحة المطلوبين للقوات الأمريكية بواسطة عدد من

المسئولين العراقيين الخونة الذين كونوا عصابات لابتزاز أموال الناس حتى لا يضعوا أسماءهم فى تلك اللائحة.. وإلا تم القبض عليهم والزج بهم فى السجون..

الثانية: أصبح فى استطاعة أى عراقى يحمل ضغينة لشخص آخر ويريد أن يكيد له أو ينتقم منه.. أن يبلغ قوات الاحتلال الأمريكى عنه متهماً إياه بأنه من رجال المقاومة.. وسرعان ما يتم القبض عليه ويودع فى السجون ويسقط فى حبائل الشيطان.

الثالثة: عندما يقوم الجنود الأمريكيون بعمليات دهم لبيوت العراقيين المطلوبين من رجال المقاومة ولا يجدونهم يقومون بالقبض على بعض أفراد أسرهم وخاصة النساء ويحتفظون بهن رهائن تحت التعذيب وامتهان الشرف واستباحة الأعراض حتى يسلم المطلوبون أنفسهم.. وللأسف الشديد فحتى بعد أن يسلم المطلوب نفسه فإن البرابرة لا يطلقون سراح أهله ونسائه وإنما يحتفظون بهم لاستغلالهم فى الضغط عليه للاعتراف لهم بما يريدون.

الرابعة: القبض العشوائى على الرجال والنساء فى

الطرقات وعلى نقاط التفتيش لأدنى درجة من الاشتباه.

والنموذج لذلك قصة السجين هشام محسن الذى نشرت جريدة (الواشنطن بوست) قصته حيث يقول: كنت عائداً إلى منزلى فى ليلة من ليالى شهر أغسطس (٢٠٠٣م) فى سيارة تاكسى فاستوقفتنا دورية عسكرية أمريكية.. وبتفتيش السيارة عثر الجنود على مسدس اعترف السائق بأنه ملكه يحتفظ به للدفاع عن نفسه.. فقبض الجنود على جميع من فى السيارة وكبلوا أيديهم ووضعوا على رءوسهم الأكياس السوداء واقتادوهم إلى السجن الرهيب (أبو غريب).. وهناك وضعونى فى زنزانة بها ما يزيد على مائة سجين.. وطوال فترة الحبس كان الجنود يربطوننا ويجردوننا من ثيابنا ويجبروننا على ممارسة اللواط والعادة السرية بينما أسواط الحراس تنهال علينا من كل مكان.. وكان من بين الذين حضروا عمليات التعذيب مجندات أمريكيات منحرفات كن يتلذذن بإجبار الرجال المعتقلين على ممارسة العادة السرية أمامهن بينما يتحسسن أجسادهن ويضحكن فى هستيرية.. ومن

كـان يمتنع يمسكون برأســه ويظلون يضـربونه فى الجدران حتى تتفجر منه الدماء ويقع مغشياً عليه فيلقون عليه ماء مثلجاً حتى يفيق ثم يعاودون معه الكرة حتى يرضخ لرغباتهم الشيطانية...

وفى أوائل ديسمبر عام (٢٠٠٣م) وبعد ما يقرب من أربعة أشهر أطلق الجلادون سراحه ومعه بقية ركاب التاكسى باستثناء السائق بعد أن ثبت لهم أنهم أبرياء !!!ولا علاقة لهم بالمقاومة من قريب أو بعيد!!!

مأساة المسلمات

●● ومَنْ أشد الفئات التى تضررت ووقع عليها الظلم وانتهاك الحرمات فى ذلك السجن الرهيب والسجون الأخرى المماثلة؟

● من المؤلم والمثير للحزن والأسى أن أكثر من وقع عليه الظلم ودفع ثمناً باهظاً فى ذلك هن النساء من أخواتنا وأمهاتنا وبناتنا اللاتى شاء حظهن العاثر أن يقعن فى أسر البرابرة الأمريكان فى ذلك السجن الرهيب.. فإن مجرد احتجاز امرأة فى السجن خاصة تحت أيدى القوات الأمريكية البربرية هو عار يلاحق أسرة المرأة أو الفتاة التى سقطت فى الأسر حتى بعد خروجها.. فيدفعها ذلك إلى الانتحار أو يدفع أهلها

إلى قتلها تخلصاً من المذلة والعار.

اغتصاب العفيفات

●● **وماذا عن النساء الشريفات العفيفات اللائى تعرضن لذلك المصير المظلم.. ماذا فعل بهن البرابرة الأمريكان؟**

● لا يستطع أحد أن يتخيل مدى بشاعة الشعور بالقهر والهوان والإحساس بالخزى والعار الذى تعيشه امرأة تم اغتصابها.. فهى إما صامتة فى صدمة وذهول من هول ما فُعل بها.. أو أنها تصرخ ليلاً ونهاراً تستغيث وتتمنى الموت بعد أن نهش البرابرة جسدها واستباحوا عرضها وانتهكوا شرفها.. وتعيش المرأة العراقية العفيفة وضعاً مأساوياً منذ أن وطئت أقدام الأحتلال أرض العراق الطاهرة بالتواطؤ مع بعض حكام العرب والمسلمين.. فإن أى امرأة عراقية من الممكن أن يُلَقى عليها القبض وتقع فى الأسر بلا ذنب ولا جريرة.. ومعظم المعتقلات فى سجن (أبو غريب) أُلقى عليهن القبض جزافاً خلال تفتيش بيوتهن وذلك إذلالاً لأهلهن.. أو رغبة شيطانية فى اغتصابهن.. أو لأن بعضهن زوجات أو قريبات لمن يشتبه أنه من رجال المقاومة المطلوبين لقوات الاحتلال

أو زوجات وقريبات لمسئولين سابقين فى نظام (صدام حسين).. أما البعض الآخر من النساء فيتم القبض عليهن فى الشوارع وعلى نقاط التفتيش لمجرد أن رغبة شيطانية اشتعلت فى نفوس البرابرة لدى رؤيتهم المرأة.. وهذا ما حدث مع إحدى الشريفات من حرائر المسلمين فى العراق كانت مع زوجها فى سيارته عند إحدى نقاط التفتيش التى أقامها البرابرة.. وعندما توقفت السيارة زين لهم الشيطان فعل الفاحشة بالمرأة فانتزعوها من السيارة من جوار زوجها ثم أطلقوا عليه وابلاً من الرصاص فقتلوه فى الحال أمام عينيها.. وبعد فترة أفرغوا فيها شهوتهم الشيطانية ألقوا بها على الطريق.. وعندما كتب البرابرة تقريرهم الروتينى عن قتل الزوج ختموه بعبارة "رفض التوقف عند الحاجز فتم اطلاق الرصاص عليه".. وبهذه اللامبالاة المتناهية.. وبهذا الاستهتار الفاجر.. انتهت حياة إنسان.. وطُويت صفحة قَتْل.. وأُغلق ملف اغتيال.. وانتهت قصة اغتصاب.

والمرأة العراقية التى تُغْتَصَب ثم تخرج من السجن تعيش بين نارين.. نار الاعتراف بما حدث لها لعلها

تجد من ينتقم لها ويثأر لشرفها ويفضح هؤلاء البرابرة.. ونار الصمت وعدم التصريح خوفاً من شيوع الفضيحة وذيوع العار فى بيئة مسلمة محافظة لا تستطيع أن تتحمل ذلك بسهولة.

مأساة تمزق القلوب

ولعل العالم الذى يسمى نفسه حراً كذباً ونفاقاً.. ولعل حكام العرب والمسلمين الذين تواطئوا مع البرابرة الأمريكان فى غزو أرض العراق الطاهرة يتذكرون ولا ينسون تلك المأساة التى شاءت إرادة الله أن تنكشف للعالم أجمع.. ففى يوم ١٢ مارس عام (٢٠٠٦م) فى مدينة (حديثة) غرب (بغداد) دهم البرابرة بيتاً عراقياً وجدوا فيه أسرة كريمة من أب وأم وفتاة فى الخامسة عشر من عمرها وعدداً من الأطفال الصغار.. وبعد أن فتشوا البيت وسرقوا كل ما فيه من أموال وحلى زينت لهم عقولهم الشيطانية اغتصاب الطفلة الطاهرة بنت الخمسة عشر ربيعاً.. وبالفعل تناوبوا اغتصابها جميعا.. ثم أرادوا أن يخفوا جريمتهم الشنعاء فقتلوها وأحرقوا جثتها.. ثم أرادوا ألا يتركوا وراءهم شهوداً فقتلوا الأب والأم.. حتى

الأطفال الصغار المذعورين الذين فروا فى شتى أنحاء البيت لم يرحموا براءتهم وطاردوهم بين مختلف الحجرات وأطلقوا عليهم الرصاص فنسفوا رءوسهم ومزقوا أجسادهم حتى تناثرت الدماء على جميع جدران البيت.. حتى السقف وصلته الدماء المتفجرة من الأجساد الطاهرة.. وأخيراً أشعلوا النيران بالبيت ليخفوا آثار جريمتهم البشعة.. ولم يكن البرابرة فى حاجة لتبرير فعلتهم الشنعاء.. فما حدث أمر طبيعى ومعتاد فى حياتهم النكدة.. ولكنهم ذراً للرماد فى العيون كتبوا فى تقريرهم المعتاد: (تعرض الجنود لنيران مقاومة مسلحة من داخل البيت فتم الرد عليها وإسكاتها وقتل كل من فيه من المسلحين).

ولكن شاءت إرادة الله لهذه المأساة أن تنكشف.. فقد ذاعت أخبارها فى الدنيا بأسرها وعلمها القاصى والدانى.. وتمت محاكمة هؤلاء الجنود فى بلادهم.. ولكن من يحاكم من؟.. إن البرابرة يحاكمون البرابرة.. فهل ننتظر منهم قسطاً أو عدلاً؟!!

فهل علم الحكام العرب والمسلمون بتلك الجريمة الشنعاء والمأساة الدامية التى علمها العالم أجمع..

وهل يتخيل أى منهم أن ما حدث لتلك الطفلة الطاهرة من اغتصاب وقتل وحرق.. ولوالديها وإخوتها الصغار من الممكن أن يحدث له ولزوجته وأطفاله؟.. ترى هل نسى أى منهم العبرة التى تجسدت فى (صدام حسين) والنكبة السوداء التى حلت به يوم أن رأى بعينيه على شاشات التلفاز ولديه وفلذتى كبده (قصى) و(عدى) وقد تمزق جسداهما شر ممزق بآلاف الرصاصات وعشرات القذائف والصواريخ.. ثم يوم أن تم القبض عليه وامتُهنت كرامته واستُذل شرفه على شاشات التلفاز ثم يوم أن تم إعدامه بطريقة غاية فى القسوة والتشفى.. هل يتذكر هؤلاء الحكام ويعون أن (صدام) وابنيه وأهله كانوا فى منعة وبأس بقوتهم الذاتية أشد مِراراً مما يعيش فيه هؤلاء الحكام تحت حماية البرابرة الأمريكان؟ ثم هل يعلم هؤلاء الحكام أنهم مشاركون فى تلك المأساة البشعة.. وأنهم سوف يُسألون عن تلك الفتاة البريئة الطاهرة يوم القيامة.. بأى ذنب اغتُصبت.. وبأى جريرة قُتلت.. وبأى جريمة أُحرقت؟ ووالداها وإخوتها.. بأى ذنب قُتلوا؟

وهل يعلمون أنهم مشاركون فى كل مأساة حلت بأى

من رجـال العـراق ونسـائه وأطفـالـه.. وأنهم سـوف يُسألون عنهم جميعاً بين يدى الله يوم القيامة..

فـأعـدوا أنفـسكم أيهـا الحكام لحـسـاب ربكم يوم الحساب.. يوم تُعْرَض عليكم صحائف أعمالكم حاوية كل كبائركم وصغائركم تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.. ثم يوم تتطاير الصحائف ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.. أعدوا أنفسكم أيها الحكام لذلك اليوم.. وانتظروا إنا معكم منتظرون.

وفى تقرير نشرته وكالة (أنباء الشرق الأوسط) المصرية يوم ٢٢ مايو (٢٠٠٤م) قالت: إن إحدى السجينات العراقيات بسجن (أبو غريب) الرهيب

نجحت فى تسريب رسالة خطية مع سجين تم الإفراج عنه تستغيث فيها بالمسلمين من اغتصاب حراس السجن البرابرة الأمريكان لها ومعها خمس سجينات آخريات.. وأن أكثر من سجينة أصبحن حوامل يحملن فى أحشائهن وأرحامهن الطاهرة أجنة لهؤلاء الفجار.

وفى بيان آخر نشرته صحيفة (الأسبوع) المصرية فى ٤ مايو عام (٢٠٠٤م) كان المفرج عنهن من نساء المسلمين فى العراق يستعطفن العالم العربى والأمة الإسلامية.. حكاماً ومحكومين.. أن ينقذوا شرف الطاهرات العفيفات فى سجون البرابرة الأمريكان من ذل الفضيحة والعار.. واستصرخ البيان كل الغيورين على دين الله وشرف نساء المسلمين إلى الإسراع بنجدة وغوث العراقيات المعتقلات.

ونحن نسأل، هل وصل ذلك البيان لكل تلك الجمعيات التى تصدع رؤوس العالم ليلاً ونهاراً كذباً ونفاقاً بالحديث عن حقوق الإنسان؟!! وهل وصل ذلك البيان إلى تلك الجمعيات التى لاهم لها ولا شاغل إلا بذل الجهود وإنفاق الأموال من أجل إشاعة الفاحشة فى بلاد العرب والمسلمين؟.. تلك الجمعيات التى جعلت

كل هدفها رفع الوصمة عن مريض الإيدز فى كلمة حق يراد بها باطل.. ومحاربة ختان الإناث حتى تزداد شهوتهن وتشتد رغبتهن فى الجنس.. وإباحة ممارسته بين المراهقين والمراهقات فى المدارس.. وتعليمه للأطفال بكشف عوراتهم فى دروس عملية للتدريب عليه.. تلك الجمعيات التى تقيم الدنيا وتقعدها إذا مارس الزوج حقه الشرعى الذى أحلّه له الله سبحانه وتعالى مع زوجته بغير رضاها وتعتبره اغتصاباً يجب أن يعاقب عليه الزوج عقاباً رادعاً.. أما اغتصاب البرابرة الأمريكان الصليبيين لشريفات العرب وعفيفات المسلمين فهو أمر لم تسمع به تلك الجمعيات ولم نسمع نحن منها أى تعليق عليه أو مجرد الحديث عنه!!! كل ذلك تحت ادعاء حق الإنسان فى الحرية!!! نعم إنه حق الإنسان المنحرف فى حرية الشذوذ والانحلال.. أما حق المسلمة الشريفة العفيفة فى الدفاع عن شرفها والذود عن عرضها من اغتصاب البرابرة فهذا ليس من شأن هذه الجمعيات ولا من أهدافها.. ولا حتى من اختصاصها!!.

يروى أحد علماء الدين أن أكثر ما أدمى قلبه وأغرقه

فى المذلة والهوان ما فعله البرابرة الأمريكان حين قاموا بإدخال سجينات عراقيات عاريات تماما على سجناء عراقيين عراة كان هو من بينهم.. فأصيب الجميع بالصدمة والذهول من هول الموقف ولم يجد كلٌ منهم إلا محاولة ستر عورته بيده وأداروا جميعاً وجوههم لحوائط الزنزانة وأخذت النساء فى الصراخ والبكاء.. وفجأة ألهمه الله أن يرفع صوته بالتكبير وطلب من الرجال والنساء أن يجأروا إلى الله جميعا ويستغيثوا به. وأن يرفعوا أصواتهم بالتكبير.. وأن يقرأ كل منهم بصوت عال ما يحفظ من القرآن الكريم.. وأن يستجيروا بالله من الكفرة الظالمين.

وبالفعل استجاب الله دعاءهم.. وأصيب البرابرة الأمريكان بالذعر والفزع مما حدث أمامهم فتوقفوا عن فعلتهم الشنعاء وأخرجوا النساء العاريات من زنزانة الرجال.

عبقرية الشيطان

وأخيراً تفتق ذهن البرابرة الأمريكان بتفكيرهم الشيطانى عن طريقة لم يشهد العالم لها مثيلا من قبل فى التفنن فى انتهاك أعراض المسلمات العفيفات

واستباحة شرفهن.. طريقة تبين مدى الشذوذ والانحراف الجنسى السادى والرغبة الحيوانية فى اغتصاب نساء وفتيات العراق.. تلك الطريقة هى اصطياد الفتيات من الحقول بالطائرات المروحية باستخدام شباك يتم رميها على المرأة أو الفتاة ثم سحبها إلى الطائرة.. وهذا ما حدث مع فلاحة صغيرة فى الرابعة عشرة من عمرها فى إحدى قرى العراق كانت تعمل فى أحد الحقول فجاءت طائرة مروحية ظلت تحوم حول المكان فترة ثم انخفض بها الطيار حتى قارب الأرض والفتاة تنظر إليها باستغراب.. وفجأة ألقى الطيار عليها شبكة التفت حولها وأمسكت بها ثم رفعها إلى الطائرة وانطلق بها.. وبعد عدة أيام عاد الطيار بطائرته إلى نفس المكان حيث ألقى بالفتاة ممزقة الثياب وعلى درجة شديدة من الإعياء حتى أنها لم تقدر على الوقوف والسير فحملها الناس إلى أهلها.. وطوال تلك الفترة التى اختطفها البرابرة الفجرة ظلوا يتناوبون اغتصابها ثم أعادوها بعد أن أفرغوا فيها شهوتهم الشيطانية.

وعندما اجتمع زعماء العشائر والقبائل فى المنطقة لبحث تلك المأساة فى حضور الفتاة وأولياء أمرها فوجئوا بها تسقط على الأرض وقد فارقت الحياة.. فقد تعاطت الشريفة العفيفة سماً زعافًا قبل أن تحضر إلى المجلس.

أيها المسلمون.. حكاماً ومحكومين.. يا من تعاونتم مع البرابرة الأمريكان فى احتلال العراق الحبيب ومكنتموهم من رقاب إخواننا وأخواتنا الأحباء.. يا من كان كل همكم تحقيق مصالحكم وتثبيت كراسيكم وعروشكم.. بماذا ستجيبون عندما تقفون بين يدى الجبار يوم الحساب.. ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.. يا من غفلتم عن أماناتكم ومسئولياتكم تجاه الرعية التى ادعيتم أن الله قد ولأكم عليها.. يا من نسيتم قولة الفاروق عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الخالدة فى مسئولية الحكام عن الرعية: (لو أن بغلة تعثرت فى الشام لسُئل عنها ابن الخطاب يوم القيامة).. يا أيها الغافلون.. يوم القيامة عن هذه الفتاة ستسألون.. بأى ذنبٍ اختُطفت؟.. وبأى جريرة اغتُصبت؟.. وبأى جُرم قُتلت؟

المأساة المبكية

وقد يقول قائل: إن هناك مبرراً ولو شيطانياً لتلك البربرية والهمجية.. وهو الشهوة الشيطانية لهؤلاء البرابرة فى ممارسة الجنس مع هؤلاء الأسيرات.. أو الرغبة الدنيئة فى وصمهن بالعار وإذلالهن بالفضيحة.. أما المحير حقاً فهو تلك المأساة المبكية التى كشفت عنها مبعوثة رئيس الوزراء البريطانى السابق (تونى بلير) لحقوق الإنسان فى العراق واتهمت فيها البرابرة الأمريكان بسوء معاملة امرأة عراقية عجوز ومسنة.. فماذا فعلوا بها؟ لقد أمرها البرابرة بأن تمشى على الأرض على يديها وقدميها على هيئة الحمار.. ثم قام أحدهم بركوب ظهرها.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!!!

بالله عليكم أى عار!! وأى ظلم!! وأى بربرية!! وأى همجية فى التاريخ شهدت مثل هذا التصرف الذى قام به هؤلاء الفجار؟!! الذين ما كان لهم أن تطأ أقدامهم الخبيثة أرض العراق الحبيب لولا تواطؤ بعض الحكام العرب والمسلمين معهم ظلماً وعدواناً.. هل سأل هؤلاء الحكام أنفسهم ماذا يريد هؤلاء البرابرة

الشواذ بهذا الفعل الخبيث؟.. وما الذى يريدونه بهذا التصرف المهين من تلك السيدة المُسِنَّة الكريمة؟!! بالتأكيد أن هذه المأساة لم يكن المقصود منها إلا إذلال كل عربى ومسلم حاكماً أو محكوماً فى صورة إهانة وامتهان كرامة هذه الأم الكريمة وهى فى ذلك الوضع المخزى والمذل.. فواحسرتاه أيها المتواطئون.. واحسرتاه أيها الصامتون على الشرف المفضوح والعرض المستباح الذى تعرضت له هذه الشريفة الكريمة.. والذى لولا تواطؤكم وصمتكم ما كان له أن يحدث.

حتى لا ينسى المسلمون

قد يقول قائل: يا أخى إنك تحاول إحياء الفتنة وإثارة المشاعر، والناس قد نسوا ما حدث والذاكرة قد تخطته!! فأقول له: يا أخى إن اليهود ادعوا زوراً وبهتاناً أنهم قد أُحرقوا فى أوروبا منذ ما يزيد عن نصف قرن من الزمان.. وحتى اليوم مازالوا حريصين كل الحرص على إحياء تلك الذكرى فى كل يوم يمر عليهم ويفرضونها فرضاً ليس على أبنائهم وأنفسهم فحسب وإنما على العالم كله.. ويجلدون بها ظهر

البشرية جمعاء حتى لا تنسى مصابهم المزعوم.. وويل لمن ينسى تلك الذكري.. ثم الويل والثبور وعظائم الأمور لمن ينكرها أو يُهَوِّن من شأنها.. فهل ننسى نحن ما حدث وهو حقيقة واقعة لم تمض عليها سنوات تعد على أصابع اليد الواحدة؟!! وهل هناك أى وجه للمقارنة بين مصابهم المزعوم الذى لم يشهده أحد وبين مصيبتنا وفضيحتنا فى سجن (أبو غريب) التى شهدها العالم أجمع؟!! ووالله إن الحرق مائة مرة أهون على الشريفات العفيفات والشرفاء الغيورين مما فُعل بنا ألف مرة!!

الدروس والعبر

●● فما العبر والدروس المستفادة من المآسى الفاجعة التى وقعت فى سجن (أبوغريب) الرهيب؟

● إن ما حدث فى سجن (أبوغريب) وغيره من سجون العراق للمسلمين والمسلمات على أيدى الصليبيين من البرابرة الأمريكان من تعذيب وحشى للسجناء واغتصاب النساء وغير ذلك من أشد أنواع وسائل التعذيب والإهانة والفجور.. كل ذلك ما هو إلا دروس وعبر يجب ألا ينساها المسلمون وأن يستفيدوا

منها ويتمعنوا فيها حتى لا تضيع تلك الفاجعة بلا ثمن.. ومن هذه الدروس والعبر المستفادة:

١- أن تلك المآسى الفاجعة والكوارث الدامية ما هى إلا قليل من كثير.. وبالتأكيد فإن ما خفى واستتر أكثر بكثير مما انكشف وانفضح.

٢- هذه الانتهاكات المريعة لا تقتصر على ذلك السجن الرهيب فقط.. وإنما يمارسها البرابرة فى جميع السجون التى تخضع لسلطانهم فى العراق وأفغانستان و(جوانتانامو) بل السجون التى تقع داخل أمريكا نفسها.. ولكنهم طبعاً يَخُصّون بها المسلمين فقط.

٣- أن المسئولين عن هذه الانتهاكات الرهيبة هم قادة الجنود البرابرة الأمريكان فى العراق وقبلهم الإدارة الأمريكية وعلى رأسها الرئيس الأمريكى ووزير دفاعه وبقية أعضاء إدارته من عصابة (المحافظون الجدد) بلا استثناء. ثم تتوالى المسئولية نزولاً حتى أصغر جندى أمريكى ومجندة أمريكية شاركوا فى عمليات التعذيب والاغتصاب.

٤- لا تقتصر المسئولية على البرابرة الأمريكان فقط

إنما تمتد وتتسع لتشمل كل من تحالف معهم من الصليبيين أو العرب والمسلمين.. حكاماً أو محكومين.. أو ارتضى غزوهم للعراق أو سهل لهم الغزو من خلال تسهيل المرور والانطلاق من أراضى العرب والمسلمين وإقامة القواعد العسكرية الأمريكية فيها .. أو أسبغ على غزوهم واحتلالهم العراق المشروعية والقانونية.

وفي يوم يعلمه الله سوف يدفع كل هؤلاء الذين شاركوا في تلك الجرائم ثم خيانتهم للإسلام والمسلمين تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

٥- كَشَفَ ما حدث فى سجن (أبوغريب) الوجه الحقيقى للقيم الأمريكية الغربية والحقد الصليبى الأسود ضد الإسلام والمسلمين.. فأن ما فعلوه اليوم هو امتداد لما فعلوه فى حروبهم الصليبية الغابرة.. وما أخبار محاكم التفتيش الصليبية فى الأندلس عنا ببعيد ولا قتلهم سبعين ألف مسلم ومسلمة احتموا بالمسجد الأقصى بعد سقوط بيت المقدس فى أيديهم فذبحوهم ذبح النعاج وخاضت خيولهم فى دمائهم

خوضاً.. فالأحفاد على خطى الأجداد.. هم جميعاً سواء فى همجيتهم وحقدهم على الإسلام وعدائهم للمسلمين.. ولعل العالم أجمع لا ينسى مقولة الرئيس الأمريكى غداة إعلان الحرب على أفغانستان ثم العراق: (إنها حرب صليبية).

وقد اعترف الكاتب الصحفى البريطانى الشهير (روبرت فسك) بتلك الأحقاد الدفينة والنظرة الدونية التى يكنها الصليبيون للمسلمين فى مقال له فى صحيفة (الإندبندت) فى ٧ مايو عام (٢٠٠٤م) فقال: "إن ما حدث للسجناء العراقيين فى سجن (أبو غريب) هو جزء من ثقافة تعود جذورها إلى الحروب الصليبية.. ثقافة ترى أن المسلم شخص قذر وفاجر وحاقد على المسيحية والمسيحيين.. وغير جدير بأى عطف إنسانى".

٦- كذلك فقد كشفت فضائح (أبو غريب) ذلك الجانب الآخر للشخصية الأمريكية الصليبية الذى لا يعرفه البعض أو يتغافل عنه.. جانب العنف والشذوذ الجنسى والانحراف الأخلاقى والإباحية والسادية.. فجمعت تلك الشخصية الأمريكية المنحرفة بين

التعصب الدينى الأعمى والانحلال الأخلاقى الضارب فى الشذوذ والسادية.. ولعل أصدق مثال على ذلك تلك المجندة الأمريكية (ليندى إنجلاند) صاحبة الصورة المشهورة.. ففى الوقت الذى شهد الجميع فيه أنها متدينة وتواظب على حضور الصلوات والعظات فى الكنيسة إذ بنا نراها فى تلك الأوضاع المقززة فى الصور الشنيعة التى شاهدها العالم أجمع.. ثم وهذا هو شر البلية تعود إلى بلدها المتحضر وهى حامل فى شهرها الخامس بعد أن أقامت علاقات غير شرعية مع معظم أفراد السرية التى كانت تخدم فيها وذلك باعترافها وكانت هذه المجندة قد طُلقت من زوجها بعد أن ضبطها فى وضع مخلٍ مع كلبٍ لها دربته على أفعالٍ شاذة.. كذلك فقد ضُبطت مع ثلاثة رجال دفعت لهم مبلغاً من المال ليقيموا معها علاقة شاذة فى إسطبل للخيل.

٧- إن ما وقع فى سجن (أبو غريب) من فواجع وكوارث هو صفعة قوية على وجوه كل أولئك الذين ينتمون لأمتنا ويتكلمون بلساننا من أبناء جلدتنا.. الذين يبشرون بالحرية والرخاء القادمين على أيدى

الأمريكان.. وينادون بوجوب الاقتداء بهم لتعلم القيم الأخلاقية النبيلة والمفاهيم الإنسانية الراقية.

الخاتمة

إن ما حدث فى سجن (أبو غريب) هو بشارة للمسلمين بقرب زوال الطغاة وهلاك الظالمين.. فإن سُنَّة الله تعالى فى هؤلاء هى الهلاك والدمار.. والله تعالى لا يزيل أمة ولا يدمر دولة وهى قائمة على العدل.. وإنما إذا أراد سبحانه وتعالى أن يدمرها أخذها وهى قائمة على الظلم والطغيان كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾.. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾..

إن ما وقع فى سجن (أبو غريب) من اغتصاب للشريفات وانتهاك لحرمات العفيفات ومن قتل وتعذيب وتحطيم لكل معانى الشرف والكرامة لابد أن يكون حافزاً يدفع أمة الإسلام أن تنهض من سباتها وتفيق من غفوتها وأن تجاهد بإخلاص لتعود إليها

من جديد قيادة البشرية.. فتقودها بالإسلام وقيمه وتعاليمه الخالدة بعد أن ثبت للجميع أن اليهود والصليبيين في قيادتهم لهذا العالم لا يريدون له إلا الدمار والخراب والفساد والذل والاستعباد.. لا يريدون له إلا الشذوذ والانحراف وانحلال الأخلاق وتفسخ الأمم وانهيار الشعوب.

وللأسف الشديد ومن المثير للسخرية بعد ذلك.. أن تسمع من بين الأمريكيين من يسأل : لماذا يكرهنا العرب والمسلمون؟!! أو نسمع من بين العرب والمسلمين من يمدح الأمريكيين ويصفهم بأنهم دعاة ديموقراطية ومحررون!! ثم يزيد الأمر فيأخذ رموزهم بالأحضان ويتهلل وجهه عند لقاءهم في فخر زائف.. وادعاء شرف كاذب.

وفي الختام فإننا لا نملك إلا أن ندعو الله كما دعاه نبيه وحبيبه محمد ﷺ حين ضاقت به الأسباب فنقول: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ... يا أرحم الراحمين ... أنت رب المستضعفين... وأنت ربي.. إلى من تكلني.. إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري.. إن لم يكن بك

على غضب فلا ابالى.. ولكن عافيتك هى آوسع لى...
أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح
عليه آمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو
يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول
ولا قوة إلا بك".

إسرائيل والأسرى المصريون...

حتى لا ينسى المسلمون

نشر هذا الملف فى العدد السادس والأربعين السنة الرابعة

من مجلة التبيان بتاريخ

جمادى الأولى ١٤٢٩هـ - مايو ٢٠٠٨م

مقدمة

سيناء.. يا مهبط الرسالات.. يا أرض الأنبياء.. وموطن الأولياء.. على (طورك) كلم الله (موسى).. وبين مساريك ودروبك انساح مسيح الله (عيسى).. فزادك الله نوراً، وملأك بركة وطهوراً.. وأدام أرضك بالتين والزيتون خيراً للأنام، ونشر بين ربوعك المحبة والوئام.. فحق من أطلق عليك أرض السلام.

سيناء.. وكما كنت أرضاً للرحمة والأمان.. فقد كنت أيضاً أرضاً للنزال والطعان.. فكم من معارك دامية دارت بين وديانك.. وكم من دماء سالت على رمالك.. وكم من جيوش عبرت أراضيك جيئة وذهاباً.. منها من جاء غازياً ظلماً وعدواناً ومنها من جاء فاتحاً نوراً وتبياناً.. منها من جاء طامعاً فى سلب البلاد ونهب العباد ومنها من خرج مدافعاً عن الأعراض منافحاً عن الأوطان.. منها من ضرب المُثل العليا فى الحفاظ على شرف المقاتلين واحترام مبادئ المحاربين.. ومنها من ضرب المُثل الدنيا فى الخسة والوضاعة.. فلم يحترم العهود.. ونقض مبادئ الشرف.. وداس مبادئ الكرام من الجنود.

ولكنك يا سيناء لم تشهدى على مر تاريخك الطويل أشد خبثاً ولا أكثر لؤماً من اليهود.. فهم أهل غدر وخيانة.. وقتل للأنبياء.. وخيانة للمواثيق ونقضاً للعهود.. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ

مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ .. هم الذين ضيعهم الله بين متاهاتك وغياباتك عقاباً لهم على عصيانهم.. فأذلهم لخبثهم.. وأنزل الفزع عليهم وملأ بالرعب قلوبهم.. وجعل الحيرة والضياع فوق رءوسهم.

وكذلك يا سيناء.. فإنك لم تشهدى على مر تاريخك العتيد معركة سادت فيها الخسة والوضاعة وانعدمت فيها كل معانى الشرف والكرامة كما شهدت فى معركة عام سبعة وستين وألف وتسعمائة.. فهى معركة دارت بين قطيع خبيث من الضباع.. وجريح من الأسود.

وفى هذا الملف إن شاء الله نتحدث عن تلك المعركة الكارثة فنبين كيف دارت ولماذا هزم المسلمون المصريون فيها؟.. وماذا فعل اليهود بهم عندما تمكنوا من رقابهم وأسروا جنودهم؟ ثم نبين الواجب الشرعى تجاه آثارها وتداعياتها.. والله من وراء القصد وهو الهادى سواء السبيل.

لمحة تاريخية

●● بداية هناك سؤال لابد من الإجابة عنه.. ما السبب فى ضخامة خسائر العرب وخاصة المصريين فى الرجال والعتاد فى صراعهم مع إسرائيل؟ وبخاصة في تلك المعركة الكارثة؟

● للإجابة عن هذا السؤال يجب علينا أن نرجع

بالزمن إلى الوراء حوالى ستين عاماً وبالتحديد إلى عام (١٩٤٨م) حيث بدأ الصراع العربى الإسرائيلى على أرض فلسطين فنجد أن مصر خاضت مع إسرائيل أربعة حروب فى أعوام (١٩٤٨م)، (١٩٥٦م)، (١٩٦٧م)، (١٩٧٣م).

وكانت حرب رمضان-أكتوبر (١٩٧٣م) هى الحرب الوحيدة التى انتصرت فيها مصر انتصاراً مدوياً أصاب العالم بالانبهار وحققت مصر من ورائه مكاسب عسكريةً بعبور قناة السويس واستعادة أجزاء كبيرة من صحراء سيناء وتدمير أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر.. وسياسيةً باستعادة الكرامة المصرية والعربية الضائعة وتكاتف العرب جميعاً مع مصر ودعمهم لها ثم استعادة صحراء سيناء.. أما الحروب الثلاثة الأخرى فهى التى تعرضت فيها مصر لخسائر وهزائم عسكرية وسياسية وذلك على النحو التالى:

١- حرب عام (١٩٤٨م): نشبت بسبب رغبة إسرائيل فى الاستيلاء على الأراضى الفلسطينية التى يملكها العرب وذلك بعد قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين

بين العرب واليهود.. وقد خسرتها مصر عسكرياً بانسحابها من كل الأراضى الفلسطينية التى كانت مكلفة بالدفاع عنها ضد العصابات الإسرائيلية المسلحة.. وخسرتها سياسياً بإعلان قيام دولة إسرائيل.

٢- حرب عام (١٩٥٦م): (العدوان الثلاثى على مصر): خسرتها مصر عسكرياً فى البداية باحتلال إسرائيل صحراء سيناء بالكامل واحتلال بريطانيا وفرنسا مدينة بورسعيد.. وربحتها سياسياً وحققت من ورائها مكاسب كبيرة على رأسها انسحاب الدول الثلاث المعتدية من جميع الأراضى التى احتلتها دون أن تحقق أهدافها.. ثم ارتفاع أسهم مصر فى العالم أجمع باعتبارها دولة نامية استطاعت أن تتصدى لثلاث دول منها بريطانيا التى كانت إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس.. وأصبحت مصر إحدى الدول القائدة لتيار التحرر والاستقلال لدول العالم الثالث.. وكان السبب فى ذلك العدوان هو تأميم مصر لقناة السويس ورغبة إنجلترا وفرنسا فى إعادة احتلالها بالقوة ورغبة إسرائيل فى تدمير القوة العسكرية المصرية الصاعدة

فى ذلك الوقت.

٣- حرب عام (١٩٦٧م): خسرتها مصر خسارة فادحة ومذهلة.. وانهزمت فيها هزيمة نكراء ومدوية نتج عنها تدمير السلاح الجوى المصرى بالكامل وتدمير جميع الأسلحة والمعدات الخاصة بالجيش المصرى فى سيناء واستشهاد وجرح وأسر عشرات الألوف من الضباط والجنود المصريين واحتلال إسرائيل لصحراء سيناء بالكامل.. أما الخسارة السياسية فقد تمثلت فى انهيار شامل فى مقومات ومفهوم الدولة التى كانت مرموقة فى العالم وشيوع روح اليأس والهزيمة بين جميع افراد الشعب المصرى وذيوع فضيحة الهزيمة بشكل مدوٍ فى شتى أرجاء المعمورة.

أسباب الهزيمة

●● وما الأسباب التى أدت إلى تلك الخسائر الفادحة؟.. وهل قاتل الضباط والجنود المصريون قتال الرجال؟ أم أن ما حدث كان شيئاً آخر؟

● الحقيقة أن أعظم الخسائر التى أصابت مصر فى تاريخ حروبها مع إسرائيل كانت فى تلك الحرب.. فمصر كانت قد حشدت حوالى ١٥٠ ألف جندى فى صحراء سيناء ومعهم كميات ضخمة من الأسلحة

والذخائر.. وكان لمصر قوة من الطيران الحربى كفيلة بحماية الجيش المصرى فى سيناء ضد الطيران الإسرائيلى.. ولو سارت الأمور وفق القواعد العسكرية المعتادة لما كانت نتيجة المعركة بهذه الصورة المأساوية.. ولكن الحقيقة أيضاً أنه كانت هناك أسباب خطيرة وقاتلة أدت إلى ضياع الجيش المصرى فى سيناء وذوبانه فيها كما يذوب الملح فى الماء.. ومن هذه الأسباب أسباب مُمَهِّدة وأخرى مباشرة، وذلك على النحو التالى:

أولاً: الأسباب الممَهدة للهزيمة:

١- عندما بدأت مصر الخطوة الأولى فى تصعيد الموقف بينها وبين إسرائيل فى يوم ٢٢ مايو عام (١٩٦٧م) وذلك بإغلاق مضايق (تيران) فى مدخل خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية لم يكن فى نيتها الحرب حقيقةً.. وإنما كان ظن القيادة المصرية السياسية والعسكرية أن مجرد حشد القوات المصرية على أرض سيناء سوف يردع إسرائيل عن الدخول فى حرب ضد مصر.

٢- سارعت مصر بحشد ما يقرب من ١٥٠ ألف جندى

معظمهم من جنود الاحتياط من العمال والمزارعين البسطاء الذين لا يملكون أى خبرة أو معرفة بالأمور العسكرية وذلك لأن خيرة المقاتلين المصريين فى ذلك الوقت كانوا يشاركون فى حرب اليمن.. وقد تم ذلك على وجهٍ شديدٍ من السرعة حتى أن بعض الجنود لم تُتَح لهم الفرصة لتسلم ملابسهم العسكرية فى القاهرة فأُرسِلوا إلى الجبهة مرتدين الجلابيب على أن ترسل لهم ملابسهم فيما بعد وبدون أى إعداد أو تدريب على أيٍ من أصول الحرب والقتال.. فساد بين الجميع شعور بأنه ليس هناك قتال.

٣- تعجلت مصر حشد القوات البرية فأرسلت الضباط والجنود أولاً ثم قامت بحشد وتعبئة الأسلحة الثقيلة والمعدات لترسلها بعدهم.. وكان الظن أن هناك فسحة من الوقت يتم فيها إلحاق الأسلحة بالتشكيلات العسكرية.. ولكن للأسف الشديد لم تُتح الفرصة لذلك فعندما اشتعلت الحرب فجأة كانت معظم حشود الجنود فى أماكن وأسلحتهم مكدسة فى أماكن أخرى.. لذلك فقد فاجات الحرب معظم التشكيلات العسكرية وليس فى يدها أسلحتها.

٤- كانت هناك روح طاغية بين الضباط والجنود من الثقة المفرطة والخادعة بالنفس.. فالجميع كان يظن أننا مع انطلاق أول رصاصة في المعركة سوف نهزم إسرائيل ونحقق عليها نصرا كبيراً.. لذلك فقد كانت الروح المعنوية عالية إلى درجة الترهل، والانضباط العسكرى متسيباً إلى درجة التفسخ.

ثانياً: الأسباب المباشرة للهزيمة: هناك سببان مباشران:

الأول: الضربة الجوية الإسرائيلية: في صباح يوم ٥ يونيو (١٩٦٧م) وفي حوالي الساعة الثامنة صباحاً هاجمت طائرات سلاح الجو الإسرائيلي جميع المطارات العسكرية المصرية في وقت واحد واستطاعت في أقل من ساعتين تدمير معظم الطائرات المصرية المقاتلة والقاذفة وهي رابضة على الأرض.. وبذلك انكشفت جميع القوات البرية المصرية في صحراء سيناء وحُرِمَت من الحماية الجوية وأصبحت لقمة سائغة وفريسة سهلة للطائرات الإسرائيلية التي انفردت بالسيادة الجوية وأخذت في التدمير الشامل لجميع الأسلحة والمعدات المصرية ما بين مدافع

ودبابات ومدرعات.. ويمكن القول إن الحرب قد حُسِمَت فى هاتين الساعتين.. وأن الهزيمة قد تحققت فى نهايتهما.

الثانى: انفراط عقد القيادة والانسحاب العشوائى:
ما أن فوجئت القيادة المصرية التى لم تكن قد أعدت نفسها أصلاً للحرب بنتائج الضربة الجوية الإسرائيلية وأدركت فداحة الكارثة التى حلت بالجيش وبالخطر المحدق الذى أحاط به وينذر بتدميره تدميراً شاملاً وبانقطاع اتصالاتها بكل تشكيلاتها الميدانية حتى أصيبت بالشلل وانفلتت الأمور من بين يديها.. وفى لحظة الفزع والهلع اتخذت القيادة قراراً كان هو الضربة القاضية للجيش المصرى فى سيناء.. وهو السبب المباشر فى سقوط ذلك العدد الرهيب من الشهداء والجرحى والأسرى فى تلك الحرب.. ذلك القراز هو.. إصدار الأمر لجميع القوات المصرية فى سيناء بالانسحاب الفورى والشامل إلى خط قناة السويس لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

والحقيقة أن ذلك القرار كان هو الكارثة بعينها وذلك للآتى:

١- غفلت القيادة المصرية عن أن الانسحاب من سيناء وقطع مئات الأميال فى الصحراء المكشوفة دون غطاء جوى وفى ظل سيادة جوية إسرائيلية مطلقة هو حكم بالإعدام على كل من يفعل ذلك.

٢- غفلت القيادة عن أن معظم التشكيلات العسكرية المصرية لم تكن قد تسلمت أسلحتها بعد.. وأن تلك الأسلحة كانت مع اشتعال المعارك إما فى المخازن او فى قطارات مازالت فى طريقها إلى العريش واستطاعت الطائرات الإسرائيلية تدميرها.. لذلك فعندما بدأت القوات فى الانسحاب عبر صحراء سيناء المكشوفة كان الكثير منها بلا سلاح.. ومن كان معه السلاح لم تكن معه ذخائر.. فأصبحت هذه القوات فريسة سهلة للطائرات الإسرائيلية التى أخذت تتصيدها بسهولة ويسر.

٣- غفلت القيادة عن أن جميع وسائل الاتصال مع التشكيلات الميدانية قد انقطعت وأن هذه التشكيلات قد تفرقت وجنودها تبعثرت.. وأن الحابل قد اختلط بالنابل. ودب فى الجيش المصرى ارتباك شديد وفوضى عارمة وأصبح لسان حال كل جندى وضابط

هو النجاة بحياته والعودة إلى قناة السويس بأى طريقة وبأى وسيلة. فكانت النتيجة أن عدد الذين تاهوا فى الصحراء وماتوا من الجوع والعطش لا يقل عن عدد الذين قتلتهم إسرائيل بالنار والبارود..

لذلك فقد كانت الكارثة التى حلت بالجيش المصرى مع انتهاء الضربة الجوية للطيران وبدءاً من الساعة العاشرة صباحاً يوم ٥ يونيو (١٩٦٧م) هى مذبحة حقيقية.. لما يقرب من ١٥٠ ألف جندى وضابط بلا سلاح ولا عتاد ولا طعام ولا شراب ساروا مئات الأميال عبر الصحراء الملتهبة المكشوفة يفرون من عدو يملك الطائرات المقاتلة والقاذفة.. وقيادته منظمة ومترابطة ومحكمة.. وأسلحته كاملة ومجهزة.. وله هدف محدد ومخطط له تخطيطاً جيداً هو تدمير الجيش المصرى فى سيناء وقتل وجرح وأسر أكبر عدد من ضباطه وجنوده.

لذلك فإن الجيش المصرى ظُلم ظلماً بيناً وغُبن غبناً شديداً ولم تُتَح له أى فرصة على الإطلاق لكى يحارب كالرجال.. فهو كمن قُيدت يداه وقدماه وألقى فى الماء ثم سُئِل: ألا تجيد السباحة؟

هذه هى أسباب تلك الخسائر الفادحة التى ألمت بالجيش المصرى فى عام (١٩٦٧م).

الشهداء والأسرى

●● ما عدد الشهداء المصريين فى حربى (١٩٥٦م) و(١٩٦٧م)؟

● فى تقرير لوزارة الخارجية المصرية أن عدد الشهداء من الجنود والضباط المصريين فى الحربين وصل إلى ٦٥ ألف شهيد.. وقد تم الوصول إلى هذا الرقم من خلال ١٠٠٠ وثيقة مكتوبة و٤٠٠ شهادة حية لقادة إسرائيليين ومسئولين أمريكيين وأوروبيين..

ومن أبرز السفاحين الذين شاركوا فى قتل هذا العدد الهائل من الجنود المصريين الرئيس الإسرائيلى الأسبق الجنرال (عيزرا وايزمان) الذى كان قائداً لسلاح الطيران الإسرائيلى في تلك الحرب والمسئول عن الذى قَتْل ما يقرب من عشرين ألف جندى.. ووزير الدفاع الأسبق (موشيه ديان) الذى كان القاسم المشترك فى كل عمليات القتل.. ووزير الخارجية الأسبق (ديفيد ليفى) ورئيس الوزراء الأسبق (إسحاق رابين) ورئيس الوزراء الأسبق الذى يتولى وزارة الدفاع حالياً (إيهود

باراك) الذى قتل ألفى جندى مصرى فى ١٠ دقائق فقط.. ووزير البنى التحتية الحالى (بنيامين بن اليعازر) قائد كتيبة (شاكيد) الذى اعترف بقتله الأسرى العزل.. ثم أخيراً السفاح (آرييل شارون) رئيس الوزراء السابق ووزير الدفاع الأسبق الذى يعيش الآن فى غيبوبة ما بين الحياة والموت منذ ما يقرب من عامين.

●● فما عدد الأسرى والمفقودين من الجنود والضباط المصريين فى حرب عام (١٩٦٧م)؟

● يقدر إجمالى عدد الأسرى والمفقودين الذين لم يعودوا من ميدان القتال إلى ديارهم بعد الحرب ولم يتم تسجيل أسمائهم في قوائم الشهداء أثناء القتال بحوالى عشرة آلاف ضابط وجندى.. وقد تمت عملية تبادل للأسرى بين مصر وإسرائيل بعد الحرب بإشراف الصليب الأحمر الدولى وذلك فى الفترة من نوفمبر (١٩٦٧م) إلى يناير (١٩٦٨م).. وكان عدد الأسرى المصريين العائدين للوطن ٤٣٣٨ أسير، ثم عاد بعد ذلك حوالى ١٧٠٠ مفقود كل منهم بوسيلته الخاصة متسللين عبر سيناء.. فيكون إجمالى العائدين

حوالى ٥٠٠٠ مصرى.. أما الخمسة آلاف الآخرين فهم الذين تم قتلهم غيلة وغدراً على أيدى الإسرائيليين بعد أسرهم أو ممن تاهوا فى الصحراء فماتوا جوعاً وعطشاً أو أخذتهم إسرائيل إلى داخلها لانتزاع أعضائهم والتجارة بها.

الضحايا والشهود

●● فكيف تم قتل الأسرى من الضباط والجنود المصريين؟ وما تفاصيل المذابح التى وقعت لهم؟

● إن تفاصيل ما وقع للأسرى المصريين من مذابح ومجازر لا يمكن أن تؤخذ إلا من أفواه شهود عيان حضروا هذه المجازر أو كانوا من الناجين منها وعلى رأس هؤلاء الشهود بعض الضباط والجنود المصريين الذين وقعوا فى الأسر ثم أنجاهم الله.. وبعض الأعراب من البدو فى سيناء الذين شاركوا فى دفن الأسرى الشهداء فى رمال الصحراء.. ومن هؤلاء الشهود:

١- الجندى/ شعبان عبد الستار: من سلاح المشاة الكتيبة (١٨) اللواء الثالث فى منطقة (رفح) شمال سيناء.. وقع فى الأسر بعد ثلاثة أيام من نشوب حرب

(١٩٥٦م).. يقول: أثناء الأسر كان الجنود الإسرائيليون يفقأون عيون بعض الأسرى المصريين لإرهابنا.. وكانوا يخلعون أظافر الجنود بطريقة وحشية ومن يصرخ منهم كانوا يطلقون عليه الرصاص أو يطعنونه بالسونكى فيسقط قتيلاً على الفور.. ويضيف أنه استطاع الهرب والذهاب إلى مستشفى العريش.. ثم يستطرد فيقول: وفى صباح اليوم التالى فوجئنا بمكبر للصوت ينادى أمام باب المستشفى يطلب من جميع الجنود المصريين الخروج إلى ساحة المستشفى لنقلهم بسيارات الصليب الأحمر إلى القاهرة.. وعندما خرجنا وجدنا سيارتين عسكريتين وإحدى المجندات الإسرائيليات تمسك مكبر الصوت وتردد نداءً إنسانياً يقول: نظراً لعدم وجود إمكانيات بالمستشفى فقد تقرر نقل جميع المصابين والجرحى إلى القاهرة".. فتسابق الجنود المصريون للخروج من عنابرهم وقبل أن أخرج إلى الساحة فوجئت بعدة مجندات إسرائيليات يفتحن نيران مدافعهن الرشاشة على مئات الجنود الجرحى والمصابين فقتلوهم جميعاً فى الحال وسط صرخات مدوية للأسرى العاجزين عن الفرار وضحكات شيطانية للإسرائيليات..

٢- الجندى/ أمين عبد الرحمن جمعة: كان جندياً فى سلاح المشاة سرية (١) كتيبة (٥٠٢) اللواء (١١٨) وقع فى الأسر يوم ٦ يونيو عام (١٩٦٧م) يقول: بعد أن حاصر الإسرائيليون اللواء واستسلم أفراده اختلط الضباط بالجنود بعد أن نزعوا رتبهم العسكرية حتى لا يتعرف عليهم الإسرائيليون.. ولكن اليهود كانوا على خبثٍ ودهاء فأمرونا بخلع ملابسنا العسكرية.. ومن الملابس الداخلية استطاعوا أن يميزوا بين الضباط والجنود.. ثم ابتكروا حيلة شيطانية لاصطياد من استطاع التخفى من الضباط فحرموا معسكر الاعتقال بالكامل من الماء لمدة ثلاثة أيام ثم أحضروا فنطاساً مملوءً بالمياه وبه حنفيات للشرب.. وما كاد الجميع يرونه حتى اندفعوا نحوه فنادى الإسرائيليون: الضباط يشربون أولا.. وبالفعل انطلت الحيلة على الضباط المصريين وانطلقوا باتجاه الفنطاس.. وما إن التقت أفواههم بصنابير المياه حتى انهمر عليهم سيل من الرصاص من المدافع الرشاشة فأبيدوا جميعاً أمام أعين الجنود واستشهد أكثر من ٣٠٠ ضابط مصرى فى ثوان معدودة.. ثم يكمل الجندى فيقول: كان الرعب يتملكنا والماء المنهمر يغسل

دماء الضباط الشهداء وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة أمام أعيننا.. وبذلك تخلص الإسرائيليون من الضباط.. وفى اليوم التالى فرزوا ضباط الصف فأخذوهم وربطوا أيديهم إلى ظهورهم ومددوهم على الأرض وجاءت دبابة مرت فوق رؤوسهم وأجسادهم جيئة وذهاباً عدة مرات حتى هرستها مع الرمال وتحولت إلى عجينة من الأشلاء ودماء الشهداء فى منظر بشع تقشعر له الجلود.. وبعد عدة أيام فوجئنا بالإسرائيليين ينادون على الجنود المصريين ويطلبون منهم كتابة أسمائهم لتسليمها إلى الصليب الأحمر الدولى.. وماكاد بعض الجنود يمسكون الورق والأقلام حتى انهمر عليهم رصاص قناصة كانوا موجودين فوق أبراج الحراسة بالمعسكر يرقبون الجميع.. واكتشفنا أنهم فعلوا ذلك لقتل كل من يجيد القراءة والكتابة.

٣- الأسير/ محمد عبد التواب عثمان: وقع فى الأسر بتاريخ ٦ يونيو عام (١٩٦٧م) بالقرب من مدينة العريش.. يقول: تم تجميعنا فى مطار العريش يوم ٨ يونيو وأمرونا بالنوم داخل حظائر الطائرات بعضنا فوق بعض.. وفى صباح اليوم التالى توفى منا ٧٠

أسيراً ماتوا جميعاً من الاختناق وتم دفنهم داخل المطار بعد ردمهم بالجير الحى.. ثم أمرونا بجمع حوالى ٤٠٠ أسير من الجنود المصابين فشحنوهم فى سيارات الجيش الإسرائيلى وطلبوا منا أن ندفنهم وهم أحياء في مقابر حفرناها لهم وأن نردمهم أيضاً بالجير.. بعد ذلك انتقلنا إلى معسكر (بئر سبع) وهناك قام الجنود الإسرائيليون يوم ٢٥ يونيو بوضع حوالى ١٠٠ ضابط مصرى على حائط ضرب النار وهم رافعو الأيدى وقد عصبت أعينهم بقطع من القماش الأسود وأوقفوهم صفا واحداً ثم أطلقوا عليهم الرصاص فقتلوهم فى الحال ثم أرغمونا نحن المدنيين على أن ندفنهم دون أية أسماء أو علامات مميزة.

٤- الرقيب/ محمد سيد الفرماوى: شارك فى حرب (١٩٦٧م).. بعد ١٦ يوماً من الحصار والمطاردات وقع فى الأسر ونقل إلى معسكر خاص بالأسرى.. يقول: فى الصباح الباكر من كل يوم كنا نقف فى طابور تمام ويمر قائد المعسكر بين صفوفنا ويختار عشرة من الأسرى يشير إليهم بأصابعه بطريقة عشوائية فيندفع الجنود الإسرائيليون إليهم ويخرجونهم من الطابور

ويوقفونهم صفا ثم يطلقون الرصاص عليهم.. وبعد قتلهم تقوم عربة مدرعة بسحبهم على الأرض إلى خارج المعسكر فتلقى بهم فى أقرب مكان ثم تعود خالية.. وبعد ٤٥ يوم فى ذلك المعتقل لقى ٤٥٠ جندياً وضابطاً من الأسرى مصرعهم ولم يبق إلا ٢٠٠ أسير من إجمالى ٦٥٠ كان عدد الأسرى فى بداية المعتقل.

- هذه شهادات لبعض الأسرى الأحياء من الجنود المصريين الذين شاركوا فى حربى (١٩٥٦م)، (١٩٥٧م) حصلت مجلة (المجتمع) الكويتية على بعضها من واقع سجلات (المنظمة المصرية لحقوق الإنسان) التى وضعتها فى تقرير تقدمت به للجهات الرسمية العربية والدولية تحت عنوان: (الجريمة والعقاب.. أعيدوا حقوق الأسرى وحاكموا القتلة).. ومن واقع اعترافاتهم الحية المباشرة على هامش مؤتر صحفى عقده (حزب مصر العربى الاشتراكى) بالقاهرة يوم الخميس ٨ / ٣ / ٢٠٠٧م).

●● **وهل هناك شهادات أخرى لشهود عيان غير الأسرى المصريين؟**

● نعم.. وهى لعدد من المصريين البدو الذين يعيشون في صحراء سيناء.. والذين عايشوا هذه الأحداث الدامية

ووقائع القتل والغدر المأساوية لحظة بلحظة.. ومن هذه الشهادات:

جريدة (الأهرام) المصرية: بتاريخ ٢٠ / ٩ / (١٩٩٥م) جاء بها أنها التقت بالعديد من الأهالى بمناطق مختلفة فى شمال سيناء التى كانت مسرحاً للعمليات الحربية عام (١٩٦٧م) وفى منطقة (أبو صقل) على ساحل البحر مباشرة عثرت على مقبرة جماعية لمئات الأسرى يقص حكايتها شهود عيان منهم:

الحاج/ رشاد خليل الحمصانى: من سكان المنطقة ويبلغ من العمر ٧٠ عاماً يقول: كان بالقرب من مكاننا هذا معسكر للجيش المصرى به أكثر من ألف جندى وضابط.. وبعد نشوب القتال فى ٥ يونيو هاجمت قوات إسرائيلية المعسكر وبعد معركة تدخل فيها الطيران الإسرائيلى تم أسر جميع الجنود والضباط بالموقع وتم توثيقهم بالحبال من الخلف وعصب أعينهم ثم قام الإسرائيليون بجمع عشرات المواطنين المدنيين من البدو بالمنطقة وكنت أنا واحداً منهم وأوقفونا فى طابور بجوار المعسكر لنرى بأعيننا الجنود المصريين الأسرى وهم يُعْدَمون غيلة وغدراً..

ثم جاءت سيارة جيب يعلوها مدفع رشاش تمسك به مجندة إسرائيلية وقفت أمام الجنود وأخذت تنظر إليهم وساد السكون الجميع.. وأطبق عليهم صمت رهيب.. وفجأة انطلقت الرصاصات المتلاحقة من المدفع الرشاش تجاه الأسرى العزل فسقط منهم المئات شهداء على الفور في مشهد بشع ومريع.. بعد ذلك أمرنا الإسرائيليون بدفن الجثث وهددونا بالقتل إن لم يتم ذلك قبل غروب الشمس.. وبين البكاء وقراءة القرآن والتكبير بصوت عال تمكنا من حفر بعض القبور وقمنا بدفنهم بصورة جماعية في مكان مقبرة (أبو صقل) الحالية.. وقد طلبنا من الجنود الإسرائيليين أن نصلي على الشهداء فرفضوا.. ثم يكمل الحاج رشاد فيقول في حزن عميق: كان من بيننا رجل وابنه رفضا المشاركة في الحفر فأطلق عليهما الإسرائيليون وابلاً من الرصاص فسقطا شهيدين فدفناهما مع الشهداء.

صحيفة (الجمهورية) المصرية: أجرت في ١٢ / ١٠ / (١٩٩٥م) تحقيقا صحفياً مع الحاج/ حسن حسين المالح ٦٥ عاماً ويسكن بمنطقة النخيل بالقرب من البحر فقالت على لسانه: كان الجنود الإسرائيليون

يجمعون الأسرى المصريين فى هذه المنطقة ويوهمونهم أنهم سينقلونهم فى أتوبيسات للتوجه إلى منطقة القناة ويأمرونهم بالوقوف صفوفاً ووجوههم نحو البحر ثم يطلقون عليهم الرصاص ويتركونهم قتلى ويغادرون المكان.. وتوالت نفس العملية فى عدة أفواج من الأسرى حتى بلغ عددهم حوالى ٣٠٠ أسير.. ثم اتجه الحاج/ حسن إلى مواقع دفن الجنود حيث تم الحفر واستخراج بعض الجثث والعظام والجماجم للأسرى الشهداء.. بعد ذلك ظل الرجل ومعه أهالى المنطقة يبحثون عن جثث وأشلاء الجنود المصريين فيقومون بدفنها.. إلا أنه بفعل الرياح ظهرت بعض الجثث والعظام والجماجم كما جرفت السيول أعداداً كبيرة منها إلى البحر.

صحيفة (الوفد) المصرية: كتبت بتاريخ ٢٦ / ٧ / ٢٠٠٦م أن السلطات المصرية اكتشفت مقبرة جماعية جديدة للأسرى المصريين فى حرب (١٩٦٧م) فى منطقة (رأس سدر) بجنوب سيناء أثناء قيام بعض العمال بالحفر لإقامة بعض المبانى. وأضافت الصحيفة أن العمال فوجئوا بظهور عظام آدمية وسط الرمال ثم

تبين وجود جماجم وبقايا ملابس عسكرية لجنود مصريين قتلهم الإسرائيليون عام (١٩٦٧م).. وأسفر التنقيب عن العثور على رفات ٥٢ جندياً مصريا وبعض المقتنيات الخاصة بهم منها رسالة من أحد الجنود كتبها لأسرته قبل نشوب الحرب مباشرة ولم تُتَح له الفرصة لإرسالها لهم.

●● هذه شهادات بعض الضباط والجنود المصريين الذين نجوا من الموت فى الأسر وبعض سكان سيناء الذين حضروا هذه المجازر والمذابح.. فهل هناك اعترافات من جنود وضباط العدو الإسرائيلى القتلة الذين ارتكبوا تلك المذابح؟

● نعم.. ويأتى على رأس تلك الاعترافات ذلك الفيلم الوثائقى الذى بثه التلفاز الإسرائيلى على شاشة القناة الأولى مساء يوم ٢٥ فبراير عام (٢٠٠٧م) والمسمى وحدة أو كتيبة (شاكيد) والذى يُعَدُّ اعترافاً دامغاً بالصوت والصورة لواحد من أقسى القتلة والسفاحين اليهود هو (بنيامين بن اليعازر) وزير البنى التحتية الإسرائيلى حالياً والذى كان قائداً لتلك الكتيبة فى حرب (١٩٦٧م) ومعه مجموعة من ضباطه وجنوده اعترفوا جميعاً بقتلهم الأسرى المصريين وتفاخروا بذكر تفاصيل قتلهم وذبحهم.

كتيبة (شاكيد)

●● فما كتيبة (شاكيد)؟

● هى كتيبة إسرائيلية أنشئت قبل العدوان الثلاثى عام (١٩٥٦م) لحراسة الحدود الإسرائيلية مع مصر ومنع الفدائيين من التسلل عبرها لتنفيذ عمليات فدائية داخل إسرائيل.. وفى عام (١٩٥٥م) أُلحْقِت بقيادة المنطقة الجنوبية واعتُبِرت من قوات النخبة فى الجيش الإسرائيلى.. وكانت تضم بين أفرادها خبراء فى الأسلحة والمتفجرات وعدداً من القناصة وعدداً من قصاصى الأثر لتتبع آثار الفدائيين الذين ينجحون فى التسلل إلى الأراضى الإسرائيلية.. ولم يكن أعضاء هذه الوحدة يرتدون الزى العسكرى وإنما كانوا يؤدون عملهم بالملابس المدنية حتى لا يتعرف عليهم الفدائيون.. وقد شاركت كتيبة (شاكيد) فى حرب (١٩٦٧م) بعد أن تم تزويدها بطائرتين مروحيتين وطائرة مقاتلة.. وعندما قامت الحرب كُلِّفت وحدة (شاكيد) بمواجهة رجال الصاعقة المصريين فى صحراء سيناء.. وبعد توقف القتال صدرت لها التعليمات بمطاردة وحدة مصرية كانت فى قطاع غزة

وانسحبت عبر أراضى سيناء فى اتجاه قناة السويس وأكدت الأوامر وجوب العثور عليها وقتل أفرادها.. وبالفعل قامت الوحدة بتنفيذ ذلك التكليف.. وتم رصد ومطاردة وقتل جميع أفراد الوحدة المكونة من ٢٥٠ ضابطاً وجندياً مصرياً كما جاء فى الفيلم.

وفى عام (١٩٧٤م) وبعد الانتصار الكاسح للمصريين على إسرائيل فى عام (١٩٧٣م) قررت القيادة الإسرائيلية تقليص حجم الكتيبة ثم قامت بحلها نهائياً وبشكل كامل فى عام (١٩٧٩م).

●● ولكن ما أسباب بث التليفزيون الإسرائيلى لهذا الفيلم فى ذلك الوقت بالرغم من أنه يمثل حرجاً شديداً للقيادة المصرية؟

● هناك ثلاثة أسباب لذلك هى على النحو التالى:

١- تستشعر إسرائيل انطلاقاً من سياستها الثابتة بتدمير الروح المعنوية للعدو أن القيادة المصرية الحالية قيادة عاجزة وفى أضعف حالاتها وأنها فقدت نهائياً وبالفعل أى إمكانية أو رغبة فى الحرب وقتال الإسرائليين وذلك حين قررت أن خيارها الوحيد فى التعامل مع إسرائيل هو خيار السلام.. وأن هذه القيادة - كما ترى إسرائيل- لا تستطيع أن تقامر

بإغضاب إسرائيل أو أمريكا باتخاذ أى موقف ضد اليهود مثل طلب التحقيق في تلك الجريمة وذلك رغبة منها فى تحقيق مصالح خاصة بها يعرفها اليهود جيداً ويقامرون عليها.. كذلك فإن إسرائيل تعتقد أن المجتمع المصرى فى هذه الفترة منكشف بالكامل ويمكن تحطيم روحه المعنوية وإذلال كرامته وتأكيد الهزيمة في داخله بمثل هذه الأفلام الوثائقية التى تذكره بقسوة وجبروت جيش الدفاع الإسرائيلى كما يزعمون.. ويلاحظ أن هذا الأسلوب الخبيث فى تحطيم الروح المعنوية للعدو قد تم استخدامه ضد المصريين والعرب عقب حرب (١٩٦٧م).. فقد نشرت كبريات الصحف الأمريكية والغربية العشرات والمئات من الصور للجنود المصريين التائهين والضائعين فى صحراء سيناء تحت وطأة الهزيمة والجوع والعطش وغياب القيادة.. وفى هذه الصور بدا الجندى المصرى ضعيفاً منهاراً متهالكاً يجر أقدامه جراً على رمال الصحراء الملتهبة والطائرات المروحية الإسرائيلية تطارده وتصطاده كما تصطاد الطرائد.. كل تلك الصور أريد من نشرها تحطيم الروح العنوية ونشر روح الهزيمة فى قلوب المصريين والعرب جميعاً، وإفقادهم

الأمل فى كسب أى مواجهة عسكرية مع إسرائيل فى المستقبل.

٢- كانت هناك أسباب تتعلق بالصراع السياسى داخل إسرائيل وذلك بكشف الدور الدموى والإرهابى للمجرم (بنيامين بن اليعازر) وزير البنية التحتية فى حكومة (أولمرت) والمتطلع إلى المنافسة على زعامة حزب العمل.

٣- محاولة القيادة الإسرائيلية أن ترفع من الروح المعنوية داخل إسرائيل بعد أن تحطمت فى حرب يوليو (٢٠٠٦م) على أيدى مقاتلى (حزب الله) فى جنوب لبنان الذين أذلوا كبرياء العسكرية الإسرائيلية ومرغوا أنفها فى التراب واستطاعوا ضرب قلب إسرائيل بالصواريخ فأصابت كل من بداخلها بالفزع والرعب والهلع، وأظهرت جيش الدفاع الإسرائيلى بصورة بائسة ومزرية وهو الذى كان يدعى بأنه الجيش الذى لا يقهر.

●● فما وقائع ذلك الفيلم الوثائقى؟ وما الاعترافات التى جاءت به وتعدُّ دليل إدانة صارخاً على ارتكاب الجريمة التى عرضها؟

● تحدث فى الفيلم عدد كبير من الجنود الذين

خدموا فى صفوف الكتيبة وكشفوا عن عمليات القتل التى قاموا بها عام (١٩٦٧م) بدم بارد.. وأكد الكثير من هؤلاء الجنود أنهم قتلوا الجنود المصريين الأسرى بشهوة الانتقام وتطبيقا لتعليمات عسكرية من قادتهم بالقتل الفورى للأسرى.

ومن جانبه روى (بنيامين بن اليعازر) مجرم الحرب الإسرائيلى الذى كان قائداً للوحدة وشارك فى عمليات الملاحقة والقتل كيف تمت عملية المطاردة بمروحية كانت تنزل على الأرض فينطلق منها الجنود الإسرائيليون ليطلقوا الرصاص ويقتلوا الجنود المصريين المطاردين بالرغم من أنهم كانوا متهالكين وبلا سلاح وغير قادرين على مجرد السير أو الفرار بعد أن انهكهم الجوع والعطش.

وقال المجرم متفاخراً إن بعض الجنود المصريين كانوا يدفنون أنفسهم فى الرمال للاختباء من الإسرائيليين ولكن جنود الوحدة كانوا يكتشفونهم ويقتلونهم.

وقد تخللت أحداث الفيلم مقاطع وثائقية مصورة تظهر إطلاق النار على الجنود المصريين رغم أنهم

كانوا بلا سلاح أو رافعى الأيدى أو منبطحين على الأرض.

اعترافات السفاحين

●● وهل اعترف آخرون غير المجرم (بنيامين بن اليعازر) بجرائم قتل أخرى للأسرى المصريين العزل؟

● نعم وذلك على النحو التالى:

١- المجرم (آرييه بيرو) : قائد الكتيبة (٨٩٠) مظلات.. كتب فى صحيفتى (جيروزاليم بوست) و(معاريف) الإسرائيليتين: كان ذبح هؤلاء واجبا مقدساً لأن المصريين- كما يقول المجرم- أبناء عاهرات..

ثم يكمل المجرم فى وقاحة وتبجح فيقول إنه قتل الأسرى المصريين الذين تمكن من الوصول إليهم فى عام (١٩٥٦م) حيث قام بإعدام ٤٩ من العمال المدنيين العاملين فى أحد المحاجر قرب ممر (متلا) كانوا يلبسون الجلابيب البيضاء.. وقد خص بالذكر قصة أحد العمال الذى تمكن من الهرب ولكنه كان مصابا بالرصاص فى صدره وقدمه فعاد بعد ساعة زاحفاً على بطنه يطلب شربة ماء فما كان من المجرم كما يقول إلا أن أطلق عليه

الرصاص فقتله ليلحقه بزملائه.. ثم يكمل المجرم كلامه قائلا: لست نادماً على ما فعلت ولا أشعر بوخز الضمير بل أنا فخور بما صنعت.. وصدق الله عز وجل إذ يقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وقد اعترف المجرم أنه وجد مئات الأسرى يموتون عطشاً فكان يأمر جنوده بسكب الماء على الرمال وعندما يندفع الأسرى لالتقاط بعض قطرات الماء كان يطلق الرصاص على رءوسهم.

كما اعترف أيضاً أنه فى معركة العريش فى عام (١٩٦٧م) قتل مئات الأسرى المصريين بعد أن أمرهم بشرب بول جنوده ثم أدخلهم نفقاً تم حفره تحت الأرض وأمر بإنزالهم فيه ثم هال عليهم الرمال فدفنهم وهم على قيد الحياة.

٢- المجرم (شاؤول زيف): كان عمره فى عام (١٩٦٧م) سبعة عشر عاماً وكان يعمل مع القائد (آريية بيرو).. يروى تفاصيل مذبحة أخرى للكتيبة ذاتها فى (رأس سدر) أسفرت عن قتل عدد كبير من العمال والمهندسين المدنيين بشركة بترول.. يقول المجرم: بعد أن تمركزت

الكتيبة على جانبى الطريق الأسفلت المتجه إلى جنوب سيناء ظهرت فجأة شاحنة مصرية ممتلئة إلى أقصاها بالأفراد المدنيين.. وعندما رأونا أصابهم الذهول فقذفتها بقذيفة من مدفعى فانفجرت انفجاراً مدوياً وتناثرت أشلاء المصريين على مساحة شاسعة وأغرقت الدماء كل شيء حولها.. كان المنظر بشعاً وفظيعاً فتراجعت إلى الخلف مذعوراً.. ولكن القائد (بيرو) أمرنا بالانقضاض والإجهاز على كل من تبقى على قيد الحياة.. وبالفعل أمسك الجنود الإسرائيليون بأسلحتهم وأخذوا يطلقون النار بشكل عشوائى وهستيرى.. ولم يتحرك واحد من المصريين فقد تمزقت أجسادهم وتناثرت أشلاؤهم جميعاً.. أما سائق السيارة فقد انفصلت رأسه عن جسده مع القذيفة الأولى.

٣- المجرم (أندريه وولف): مساعد القائد (رافائيل إيتان) وزير الزراعة الأسبق في حرب عام (١٩٥٦م).

يؤكد (وولف) أن (إتيان) لم يكن يرحم أى ضابط أو جندى مصرى تائه فى الصحراء خلال الحرب وكان يأمر بتصفيته على الفور حتى العمال المساكين الذين

أوقعهم حظهم العاثر بين يديه لم يرحم واحداً منهم.

ويروى (وولف) قصة بعض العمال المصريين ممن وجدهم الإسرائيليون تائهين فى الصحراء واكتشفوا أنهم بؤساء للغاية ولا يعرفون أى شىء عن الصراع الدائر فى سيناء وأن كل همهم كان ينصب فى أمر واحد هو الانتهاء من عملهم من أجل الحصول على بعض المرتبات الهزيلة والعودة بها إلى أسرهم وأهاليهم.. وبالرغم من ذلك أعطى القائد (إيتان) أوامره بقتلهم جميعاً ودفنهم فى الصحراء.. ويضيف (وولف) أنه لا يستطيع حتى الآن أن ينسى منظر العمال وهم يتوسلون إليه كى لا يقتلهم حتى أن واحداً منهم كان فى يده صورة لعائلته أخذ يقبلها وينظر إلى السماء وهو يبتسم فى شرود.. والغريب أن عينيه ظلتا محدقتين فى السماء حتى بعد موته.

٤- المجرم (عاموس نئمان): مقدم احتياط بالجيش الإسرائيلى عام (١٩٦٧م) يقول: لقد طاردنا المصريين وقتلناهم بلا أى قواعد ومن استطاع الهرب فقد أفلت بمعجزة.. إننا نكرههم جميعاً.. لقد كنت سعيداً بمذبحة (شرم الشيخ) التى قتلت فيها ١٦٩ جندياً

مصرياً أسيراً.. لقد زرت منطقة (شرم الشيخ) عام ١٩٧٦م) وتمكنت من التعرف على الهياكل العظمية عض الأسرى الذين قتلتهم بين بعض الصخور على تداد الطريق الرئيسى.. إن وجود هذه الهياكل عظمية فى مكانها سيظل كالشعار الأحمر يذكر عريين بما فعلناه بهم دائماً.

٥- المجرم (إيهود باراك): رئيس الوزراء الإسرائيلى سبق ووزير الدفاع الحالى.. يقول: إنه أمر ١٢٠٠ سير مصرى بخلع ملابسهم والنوم على رمال صحراء عرايا تحت الشمس الحارقة ثم أمر جنوده اسوا على رءوسهم وصدورهم بأحذيتهم ثم قتلوهم.

٦- (ميخائيل بازوهو): عضو فى الكنيست عن حزب عمال.. اعترف فى حديث إذاعى لراديو إسرائيل أنه ساهد اثنين من طباخى الجيش الإسرائيلى يذبحان لاثة جنود مصريين في وضح النهار بعد أن قيدوا يديهما وأرجلهما وألقياهما فى الأرض ثم ذبحاهما ن أعناقهما كما تذبح الخراف.

ولم يكن كل هؤلاء القتلة يفعلون ذلك إلا اتباعاً لمنهج مؤسس الحركة الصهيونية (تيودور هرتزل) بأن

فلسطين وحائط المبكى لا يؤخذان بالدمع والعويل وإنما بالدماء والجماجم..

وهناك الكثير والكثير من القتلة والسفاحين الإسرائيليين الذين ارتكبوا المذابح تلو الأخرى.. والملاحظة الجديرة بالذكر أن معظم هؤلاء القتلة وعلى قدر إجرامهم ودمويتهم وهمجية تاريخهم العسكرى يصلون إلى أعلى المناصب ويتبوأون مراكز القيادة فى الدولة الإسرائيلية.

مصير الأسرى المصريين

●● فماذا كان مصير الأسرى المصريين الذين لم يقتلوا؟

● لقى عدد كبير من الأسرى المصريين مصيراً داخل إسرائيل أشد إيلاماً وقسوة من القتل الذى لقيه إخوانهم فى ميدان المعركة فى صحراء سيناء.. فبعد أن فوجئ الإسرائيليون بذلك العدد الهائل من الأسرى الذى لم يتوقعوه على الإطلاق.. شكّل ذلك مجالا خصباً للتفكير فى كيفية الاستفادة منهم بأشد السبل شيطانيةً ودهاءً.. وكان الشيطان قرينهم فى التفكير.. فقد استقر فكرهم الخبيث على انتزاع أعضائهم وبيعها.. وبالفعل شكل الأسرى المصريون مستودعاً

هائلاً لقطع الغيار البشرية باعها اليهود ليس داخل إسرائيل فقط وإنما امتد ذلك إلى أسواق أوروبا وأمريكا، وجنى السماسرة اليهود أرباحاً خيالية من تجارة أعضاء الأسرى المصريين..

كذلك فقد تفتق ذهنهم الخبيث عن سبيل آخر من سبل الشيطان للاستفادة من ذلك العدد الكبير من الأسرى وهو استخدامهم فى كليات الطب لتعليم الطلبة والأطباء المبتدئين وتدريبهم على إجراء العمليات الجراحية وتشريح ودراسة جسم الإنسان دون خوف من عقاب أو رادع من أخلاق.. وكم من الأسرى المصريين ماتوا بعد أن شُقت بطونهم ومُزقت أجسادهم بمشارط طلبة أغرار أو أطباء مبتدئين غيلة وغدراً..

كذلك فقد تم استخدام عدد كبير من الأسرى كحيوانات للتجارب فى المعامل ومراكز الأبحاث الإسرائيلية لتجربة الأسلحة البيولوجية والكيميائية عليهم ودراسة الآثار القاتلة والمميتة لها على البشر.. وكم من العشرات بل المئات من الأسرى تم حقنهم بالميكروبات والفيروسات القاتلة أو تعريضهم

لاستنشاق الغازات السامة لدراسة الآثار الناجمة عنها على جسد الإنسان فتعرضوا لآلام رهيبة وتشنجات قاتلة واختناقات وأنزفة دامية قبل أن يلفظوا أنفاسهم فى عذابٍ لا يطاق.. أما البعض الآخر فقد كان أوفر حظاً منهم وبمجرد حقنهم بالميكروبات والفيروسات أو استنشاقهم للغازات ماتوا على الفور ولم يمروا بتلك الآلام الرهيبة والمعاناة القاتلة.

وأخيراً وإتماماً للفائدة الشيطانية فإن مصاصى الدماء لم يغفلوا عن أن يمتصوا دماء أبنائنا الأسرى من عروقهم إلى آخر قطرة حتى يستفيدوا بها فى إنقاذ حياة اليهود الذين يصابون فى حوادث أو كوارث.

فواحسرتاه على أبناء مصر وجنودها الذين تم اغتيالهم والغدر بهم مرتين.. مرة بإلقائهم فى ميدان المعركة بلا قيادة ولا تخطيط ولا سلاح.. ومرة بشق بطونهم وانتزاع أعضائهم وهم أحياء بأيدى الإسرائيليين.

الأمر المثير

وكان الأمر المثير الذى قاد إلى الكشف عن هذه الجرائم البشعة هو أن بعض القادة العسكريين كانوا يطلبون دائماً إرسال مسئولين وخبراء وأطباء إلى مواقعهم العسكرية بإلحاح بادعاء محاولتهم وقف انتشار الأمراض والأوبئة الناتجة عن كثرة جثث الجنود المصريين.. أما الحقيقة فلم يكن الهدف من ذلك الطلب إلا الاتجار فى أعضاء الأسرى المصريين وتشريح جثثهم وإرسالها إلى كليات الطب والمراكز البحثية والعلمية المختلفة كى يمارس الطلبة علم التشريح والدراسة عليها.

ومن هؤلاء الذين اكتشفوا هذه الحقيقة المؤرخ العسكرى الشهير (ميليتشيان أوري) الذى كان شاهدا على العديد من تلك الوقائع فى ساحات المعارك عامى (١٩٥٦م) و(١٩٦٧م).. فقد اعترف بأن هؤلاء الخبراء والأطباء كانوا يمارسون عملهم بصورة مثيرة للشك والريبة حتى اكتشف بالمصادفة أنهم أعضاء فى (مافيا) لتهريب الأعضاء البشرية التى كانوا ينتزعونها من الأسرى ويبيعونها فى أسواق إسرائيل وأوروبا وأمريكا.. ويضيف (أورى) أنه شاهد بنفسه العديد من

عمليات الاختطاف القسرى للأسرى وهم أحياء والذهاب بهم إلي داخل إسرائيل من أجل إجراء العديد من التجارب العلمية والعسكرية باعتبارهم حيوانات للتجارب.

●● وهل توقف مصير الأسرى المصريين عند القتل غدراً أو انتزاع أعضائهم وبيعها أو استخدامهم حيوانات تجارب أو امتصاص دمائهم؟

● للأسف الشديد الإجابة لا.. فلقد كان هناك مصير أكثر إيلاماً وأشد وقعاً على النفس البشرية تعرض له العشرات من الأسرى المصريين.. فقد قرر الإسرائيليون أن يحولوهم إلى جواسيس يطلقون سراحهم عند تبادل الأسرى فيعودوا إلى مصر لكى يكونوا عيوناً لهم على أبناء وطنهم وإخوانهم.. فقد استغلت المخابرات الإسرائيلية حالات الفزع والرعب التى انتابت الكثير من الأسرى فى حرب (١٩٦٧م) بعد ما رأوه من أهوال وفظائع فعملت على تجنيد بعضهم.. وكانت لهم أساليب شيطانية فى ذلك.. فكانت البداية هى اختيار الشخص المناسب وهو أشد الأسرى فزعاً ورعباً وأكثرهم خوفاً من الموت ورغبة فى الحياة وطلباً للنجاة بأى ثمن.. والخطوة التالية هى إرهابه

لأقصى درجة يستطيع أن يتحملها وذلك بقتل زملائه أمام عينيه والتمثيل بجثثهم وتعذيبهم أمامه بطرق بشعة فيصيبه الفزع والرعب من أن يصيبه مثل ما أصابهم.. وفى النهاية يصل الجاسوس المنتظر إلى مرحلة يتحطم فيها كل ما لديه من مقاومة ويفقد الثقة في كل قياداته السياسية والعسكرية التى أوصلته إلى تلك الحال ولا يحمل لهم إلا كل حقد وكراهية.. وفى تلك المرحلة يصل الجاسوس المنتظر إلى اليقين بأن العدو الإسرائيلى هو الأقوى والأشجع والأبرع وأنه لا فائدة على الإطلاق من معاداته ومحاربته.. وأن مجرد التفكير فى التصدى له هو ضرب من الجنون والانتحار.. حينئذ تبدأ مكافأته بالمال والمخدرات والنساء مع وعد باستمرار المكافأة ما استمر على إخلاصه لإسرائيل والتعاون مع مخابراتها بعد عودته إلى وطنه.. وإلا فإنه يعلم المصير الذى ينتظره إذا نكص على عقبيه.

مكانة اليهودى عند قومه

●● كيف نقارن مكانة الأسير الإسرائيلى فى نظر الإسرائيليين بمكانة الأسير المصرى فى نظر المصريين؟

● الحقيقة أن هناك فرقا شاسعاً بين المكانتين لصالح الأسير الإسرائيلى.. فقد ارتقى الإسرائيليون ارتقاءً كبيراً فى احترام قيمة الفرد اليهودى حال حياته أو بعد مماته وقطعوا شوطاً بعيداً فى الإصرار على استعادته إذا تم أسره أو فى الانتقام له إذا تم قتله.. فهم يحرصون على استرداد جثث موتاهم ورفاتها وإن تحولت إلى تراب وهم على استعداد لمبادلتها بالعشرات بل المئات من أسرى العرب والمسلمين لديهم.. ومن النماذج التى تدل على ذلك مايلى:

أولاً: فى مجال استعادة الأسرى:

هناك عدة حالات مشهورة منها:

١- **الجنديان الأسيران فى لبنان:** من أجل جنديين اثنين فقط أسرهما (حزب الله) فى ١٣ يوليو عام (٢٠٠٦م) شنت إسرائيل حرباً شعواء على لبنان بكاملها.. وخاضت حرباً عصيبة عليها انتهت بهزيمةٍ استراتيجية مدوية وكسرٍ لكبريائها وكرامتها العسكرية وتحطيمٍ لأسطورة جيشها الذى لا يقهر.. وفى تلك الحرب ضحت إسرائيل بالمئات من القتلى والألوف من

لجرحى وخسائر بالمليارات من الدولارات.. كل ذلك كما أعلنت إسرائيل كان من أجل تحرير الجنديين الأسيرين.

٢-الجندى (جلعاد شاليط): منذ تم أسره فى ٢٥ يونيو عام (٢٠٠٦م) على يد كتائب المقاومة فى قطاع غزة، وإسرائيل تخوض مفاوضات صعبة استعانت فيها بكل من يمكنها من الوسطاء مع جماعة (حماس) للإفراج عنه.. ولكن (حماس) وبذكاء شديد وفهم واع لأساليب التفاوض تصر على انتهاز الفرصة وتطلب إطلاق سراح ما يزيد على الألف من الأسرى المسلمين.. وحتى الآن لم تتوقف إسرائيل لحظة واحدة عن التفاوض من أجل إطلاق سراح الجندى الأسير.

ثانياً: فى مجال الانتقام لقتلاهم:

هناك عدة عمليات مشهورة منها:

١-(قائمة جولدا): فى دورة الألعاب الأوليمبية بمدينة (ميونخ) بألمانيا عام (١٩٧٢م) قام ثمانية من الفلسطينيين من أعضاء منظمة (أيلول الأسود) باحتجاز عدد من الرياضيين الإسرائيليين المشاركين فى الدورة كرهائن.. وفى عملية فاشلة قامت بها الشرطة الألمانية لإنقاذ الرهائن قُتِل ١١ منهم بالإضافة إلى

ضابط شرطة ألمانى.. كما قُتِل أيضاً ٥ من الخاطفين الثمانية. وفى رد على العملية قررت رئيسة وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت (جولدا مائير) الانتقام بقتل كل من شارك فيها أو خطط لها.. وبالفعل تم وضع أسماء كل من كان له يد فى تلك العملية فى قائمة أطلق عليها (قائمة جولدا) وقام الموساد الإسرائيلى بتتبعهم وقتلهم جميعاً.

٢- خطف الألمانى النازى (أدولف إيخمان): كان ذلك الرجل واحداً من النازيين الألمان الذين شاركوا فى تعذيب وقتل الكثير من اليهود وغيرهم من الجنسيات الأخرى فى أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية.. وبعد انتهاء الحرب بهزيمة ألمانيا فى عام (١٩٤٥م) استطاع الهرب والتخفى وانتقل للعيش فى الأرجنتين، وظل مقيماً فيها متخفياً حتى عام (١٩٦٠م) وطوال تلك المدة ومن خلال سياستهم الثابتة بالانتقام من كل من شارك فى قتل اليهود أو تعذيبهم فى أى مكان وعلى مرّ الأزمان لم تتوقف المخابرات الإسرائيلية عن تتبع خطواته حتى عثرت عليه واستطاعت أن تخطفه وأن تخدّره وتضعه فى صندوق ثم تشحنه على طائرة بضائع إلى

إسـرائيل.. وعندمـا أفـاق الرجل من المخـدِّر صُـعِق وأصـابه الذهول عندمـا وجد نفسـه في قلب إسـرائيل وفي قبضة اليـهود.. وتمت مـحاكمته فى مـحاكمة علنية على الهواء مباشرة حضرها اليـهود ضحايا معسكرات النازى الأحـياء فقصوا على العـالم الفظائع التى مروا بها على يده.. وانتـهت المحـاكمـة بإعـدامـه على رؤوس الأشهاد فى سجن (الرملة) ليلة ١ يونيو عام (١٩٦٢م).

هذه هى الأدلة على التـقدم الكبير الذى حـققه اليـهود فى احـترام قـيمـة الفرد اليـهودى والتزام مؤسسـاتهم بحمـايته ونجدته وإغاثتـه إن كـان حـياً.. والانتـقام من أعدائه والثأر له إن تم قتله أو الإضرار به.

تناقض فاضح

●● وهل يتـبع العـرب والمسلمـون ذلك النهج فى اسـتـعـادة أسـراهم والانتقام لقتلاهم؟

● الحـقيـقة أن الإجابة مـخجلة.. وعلـى النقيض تمـاماً فـمن المتـناقـضـات الفـاضـحــة لنا فى ذلك المجــال أن إسرائيل قتلت لنا عدداً من الجنود وعدداً من المواطنين المدنيين على الحــدود فى مــدينة رفح المصــرية فـى حـوادث كثيرة متـعمـدة.. منها قيـام دبـابة إسـرائيليـة

بإطلاق قذيفة مباشرة على ثلاثة جنود مصريين فى موقعهم بمخيم (كندا) بمنطقة (رفح) المصرية يوم ١٨ نوفمبر عام (٢٠٠٤م) فقتلتهم على الفور.. ومنها اصطياد قناص إسرائيلى للطفلة/ سماح نايف أبو جراد (١٣ سنة) التى كانت تلعب أمام منزلها بمنطقة (الدهينية) المجاورة لمدينة (رفح) المصرية يوم ٢٨ فبراير عام (٢٠٠٨م) برصاصة قتلتها على الفور.. ومع ذلك فإن إسرائيل لم تُعِر الأمر أى اهتمام ولم تضع أى اعتبار للسلطات المصرية عندما طلبت التحقيق فى تلك الحوادث وأغلقت باب النقاش حولها بصلف وغرور ولم تقبل بمجرد الاعتذار عنها.. وفى المقابل فعندما قتل الجندى المصرى/ سليمان خاطر عدداً من السياح الإسرائيليين بعد أن رفضوا الانصياع للتعليمات المكتوبة بعدم الاقتراب من المنطقة العسكرية التى يحرسها بجنوب سيناء وسخروا منه.. عندها أصرت إسرائيل على أن تدفع مصر تعويضات فورية وخرافية لأسر القتلى وأن تقدم اعتذاراً فورياً عن الحادث وأن تعقد محاكمة عاجلة للجندى المصرى.. وللأسف الشديد انصاعت مصر صاغرة ودفعت التعويضات المطلوبة على الفور. ثم حاكمت الجندى وحكمت عليه

الأشغال الشاقة المؤبدة.. ثم كانت المفاجأة الصاعقة لتى لا يعلم خفاياها إلا الله وحده.. لقد أعلنوا أن لجندى/ سليمان خاطر انتحر فى سجنه بعد سبوعين فقط من بدء تنفيذ الحكم!!!!

ومن التناقض الفاضح أيضاً أن مصر عندما طالبت ي مناسبات عدة بفتح التحقيق فى جرائم قتل الأسرى المصريين كانت الردود الإسرائيلية كما جاءت علي لسان مسئوليهم في صلفٍ وغرور: إننا الآن فى سلام مع مصر فلا يجب أن ننظر إلى قضايا قديمة مضى عهدها.. وأن هذه القضايا قد سقطت بالتقادم!!!

وبالرغم من أن هذه القضايا بحكم جميع القوانين الدولية لا تسقط بالتقادم في جميع أنحاء العالم فإننا نتعجب ونسأل: لماذا يصر الإسرائيليون حتى اليوم على إحياء الجرائم المزعومة التى ارتكبها الألمان ضدهم فيما يسمى (الهولوكست) أو المحرقة؟.. ولماذا حصلوا ومازالوا يحصلون على ألوف الملايين من الدولارات تعويضاً خرافياً لكل من يدعون أنه قُتِل أو أضير علي يد النازى فى ألمانيا؟.. ولماذا يصرون حتى اليوم على مطاردة واصطياد كل من قتل أو يقتل

يهودياً؟ لقد حصل اليهود من ألمانيا وأوروبا على مكاسب خيالية نتيجة إحياء ذكريات كل القصص المزعومة لتعذيبهم.. ومن هذه المكاسب.. تبرئة اليهود من دم المسيح.. ومنها تشريع القوانين التى تُجَرِّم كل من يُشَكِّك في أرقام ضحايا (الهولوكست) المزعومة ناهيك عمن ينكرها.. ومنها دعم كل الدول الأوروبية وأمريكا لإسرائيل دعماً مطلقاً فى جميع المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية وعدائها للفلسطينيين.

فهل يمكننا بعد ذلك أن نعقد وجهاً للمقارنة بين قيمة الأسير الإسرائيلى وقيمة الأسير المصرى الذى قُتِل وذُبِح فى صحراء سيناء بالمئات والألوف غيلة وغدراً وطوال عدة حروب دون أن تهب مصر عن بكرة أبيها للانتقام من قاتليه والثأر له؟.. بل ولا حتى مجرد المطالبة بمحاكمة المجرمين الذين قتلوه بدم بارد وبخسة ووضاعة؟

●● **وهل يقتصر احترام قيمة الفرد بهذه الصورة الجديرة بالاحترام على اليهود فقط؟**

● لا.. فهناك نماذج أخرى لا تقل عن اليهود فى ذلك

المجال إن لم تتفوق عليهم.. ومن هذه النماذج (حزب الله) في لبنان.. فمنذ نشأة (حزب الله) في عام (١٩٨٢م) وقضية تحرير الأسرى اللبنانيين والعرب في إسرائيل تشكل بالنسبة له هماً مقيماً لا يتواني في سبيله عن بذل الغالي والنفيس.. وقد قام (حزب الله) بعدة عمليات تبادل للأسرى مع إسرائيل أظهرت مدى تمسكه بتحرير أسراه وإصراره على ذلك.. ومن أهم هذه الصفقات التي حقق فيها انتصاراً باهراً تلك التي تمت في ٢٩ يناير عام (٢٠٠٤م) والتي استرد فيها (٤٣٦) أسيراً منهم ٢٣ لبنانياً و١٢ عربياً منهم سوري وليبي و٣ مغاربة و٣ سودانيين و٤٠٠ فلسطيني وأسير ألماني مسلم وذلك بالاضافة إلى رفات ٥٩ شهيداً لبنانياً.. وكان المقابل لذلك أن سلم الحزب إلى إسرائيل عقيد المخابرات الإسرائيلي (الحنان نتنباوم) الذي كان الحزب قداستدرجه إلى بيروت وأسره بالإضافة إلى جثث ثلاثة جنود إسرائيليين قتلوا على الجبهة اللبنانية.

ومن المؤسف والمحزن.. بل من الغريب والمثير لعلامات استفهام كثيرة أن (حزب الله) كان قد وضع

أسـمـاء ثلاثين من الأسـرى المصـريين فى سـجـون إسرائيل على قائمة الأسرى الذين طالب بالإفراج عنهم ولكن المسئولين فى وزارة الخارجية المصرية رفضوا ذلك العـرض وقـالوا إن لمصـر وسـائلـهـا الخـاصـة فى استـعـادة أسراهـا!!!. وحـتى اليـوم وفى عـام (٢٠٠٨م) وبعـد أربع سنوات كـاملة من تحـرير (حـزب الله) للأسرى العرب والمسلمين مازال الأسرى المصريون فى سجون إسرائيل ولم يعودوا بوسـائل مصر الخاصة ولا بوسائلها العامة!!!

الفرصة الضائعة

●● وهل أتيح لمصر فرصة لاستعادة أسراها؟ وماذا فعلت بها؟

● نعم.. لقـد أتيـحت لمصـر فـرصـة كـبيـرة لاسـتـعـادة أسراها ولكنها إما أنها غفلت عنهم فيها أو أن اليـهود كانوا أبرع منها في التـفـاوض فلم تصل مصـر إلى براعـة (حـزب الله) في التـفـاوض ولا إلى إصـرار (حماس) على تحرير ألف أسير مقابل جندى إسرائيلى واحـد.. وكانت تلك الفرصة في صـفـقة إطلاق سـراح الجاسوس الإسرائيلى (عزام عزام).

●● وما قصة ذلك الجاسوس؟

● هو جاسوس إسرائيلى زرعته إسرائيل داخل مصر واستطاعت المخابرات المصرية العريقة أن توقع به وتقبض عليه وحكم عليه بالسجن ١٥ عاماً.. وقد حاولت إسرائيل المستحيل لإطلاق سراحة ولكنها فشلت في ذلك. وكان ذلك في عام (١٩٩٦م) وفى أغسطس عام (٢٠٠٤م) قبضت إسرائيل على ستة طلاب مصريين حاولوا اختراق الحدود والوصول إلي غزة تضامناً مع الانتفاضة الفلسطينية واتهمتهم بالإرهاب وقدمتهم للمحاكمة.. وعندما طلبت مصر من إسرائيل الإفراج عن هؤلاء الطلاب طلبت إسرائيل في المقابل الأفراج عن الجاسوس.. وبالفعل قبلت مصر الصفقة انقاذا لمستقبل هؤلاء الطلاب.. ولكنها في الوقت نفسه غفلت عن أو تغافلت وضيعت فرصة ثمينة بأن تشمل تلك الصفقة جميع الأسرى المصريين فى سجون إسرائيل.. ولو كانت مصر قد فعلت ذلك لاضطرت إسرائيل للاستجابة لما هو معروف عنها من الاهتمام الشديد باسترداد أسراها لدى الآخرين مهما دفعت مقابلهم من ثمن.. ولو كانت مصر وضعت

تجارب (حزب الله) و(حماس) في التفاوض مع إسرائيل نصب عينيها لكان أبناؤنا وأحباؤنا الأسرى المصريون قد عادوا إلى أرض الوطن.

تخاذل المسلمين

●● إذا كان هذا حال اليهود وتقديرهم لقيمة الفرد اليهودى الواحد.. فكيف نقارن ذلك بالصمت والسكوت على قتل أكثر من خمسة آلاف أسير مصرى عزل من السلاح فى حرب (١٩٦٧م)؟

● الحققة أن احترام قيمة الفرد ومكانته حياً وميتا عند المسلمين ليست صفة غريبة عنهم ولا هى أقل مما عند اليهود.. وإنما هم مغيبون عنها بسبب عوامل كثيرة ومعقدة يلعب فيها أعداء المسلمين دوراً هاماً وبارزاً وذلك لغرض محدد هو أن يخذل المسلم أخاه المسلم ولا يسارع إلى نجدته إذا استنجد به ولا إلى نصرته إذا استنصره.. وبذلك يتحقق لأعداء المسلمين بث الفرقة والوقيعة بينهم وإضعاف شوكتهم والتمكن منهم فرادى.

والحقيقة أيضاً أن نصرة المسلم لأخيه المسلم اعتبرها الإسلام عنصراً من عناصر الأخوة الإسلامية ومن صميم الإيمان وقد حث الله سبحانه وتعالى

عليها فقال في كتابه الكريم: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾ لكننا للأسف الشديد لا نرى اليوم هذه الركيزة الإيمانية في أخوة الإسلام وتحرير الأسرى ونجدة الملهوف.. بل كثيراً ما تنقلب الأحوال وبدلاً من قيام المسلمين بنجدة إخوانهم المظلومين وحمايتهم فإنهم يخذلونهم وقد يُسْلِمُونهم لأعدائهم لينكلوا بهم وليفعلوا بهم ما يشاءون.. وإلا فماذا فعل المسلمون من الزعماء والملوك والرؤساء لنجدة المسلمين والمسلمات الذين تم أسرهم في سجن (أبو غريب) وبقية سجون العراق؟ وماذا فعلوا لأسرى المسلمين في سجن (جوانتانامو) وبقية السجون الأمريكية؟ وفي البوسنة والهرسك عند اعتداء الصرب عليهم في التسعينيات؟ وفي أسرى المسلمين من الشيشان في سجون روسيا؟ وماذا فعلوا لأحد عشر ألفاً من الأسرى الفلسطينيين المسلمين في سجون إسرائيل؟ لقد ثبت بالإحصائيات أن إسرائيل اعتقلت ما يقرب من عشرة آلاف امرأة فلسطينية منذ عام

(١٩٦٧م) حتى الآن.. ومن هؤلاء المعتقلات فتيات قاصرات وأمهات حوامل.. حتى أن بعضهن جاءهن المخاض ووضعن حملهن مكبلات الأيدى والأقدام..

وبمقارنة حال أسرى المسلمين وأسرى الإسرائيليين نجد أنفسنا أمام تعبير بليغ شاع استخدامه وهو (أسرى القمة) و(أسرى القاع).. فأسرى القمة هم أسرى اليهود عند المسلمين وذلك لأنهم يحظون بميزتين.. حسن معاملة المسلمين.. ونجدة قومهم السريعة لهم.

لهم.. أما (أسرى القاع) فهم أسرى المسلمين عند اليهود وذلك لأنهم أصيبوا بمصيبتين.. سوء معاملة اليهود.. وخذلان قومهم لهم.

ويظهر الفرق الكبير بين (أسرى القمة) و(أسرى القاع) حينما نرى أن معظم أسرى المسلمين عند اليهود والصليبيين لا يرجعون إلى بلادهم إلا موتى أو عجزة أو مصابين بأمراض نفسية وبدنية.. بينما معظم أسرى اليهود والكفار عند المسلمين يرجعون إلى بلادهم سالمين يثنون على ما تلقوه من معاملة طيبة لا تستند إلى مواثيق أو اتفاقيات دولية وإنما تستند إلى أوامر الله تعالى بالإحسان إلى الأسير كما جاء فى

قوله تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾ وقد تجسد ذلك فى حرب رمضان- أكتوبر (١٩٧٣م) حين دمرت القوات المصرية الباسلة اللواء الإسرائيلى المدرع (١٠١) وأسرت قائده العقيد (عساف ياجورى) وأفراد لوائه وأطقم دباباته فعاملتهم معاملة طيبة كريمة واتبعت معهم منهج الإسلام فى معاملة الأسرى.

الخاتمة

●● فما المطلوب من المسلمين تجاه هذه الجرائم البشعة؟

● إن الموقف المطلوب على ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: الحكام والزعماء العرب: لن نطلب منكم ما لا تطيقون فبعضكم يرغب فى القصاص للأسرى لكنه يخاف من إسرائيل ويعتبرها أسداً لا يمكن أن نضع يدنا فى فمه.. وهذا نذكره بأن (حزب الله) فى لبنان قد خلع أنياب الأسد وقلَّم أظفاره.

والبعض الآخر له مصالح ومنافع مع إسرائيل تتقدم عنده على مصالح شعبه وأمته.. وهذا نذكره بأن هذه المصالح والمنافع مهما عظمت فهي إلى زوال تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾.

والبعض الثالث قد والى اليهود عن اعتقاد راسخ أنهم هم الأعز وأن المسلمين هم الأذل.. وهذا نذكره بقول الله تعالى:﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾.

لذلك فإننا نذكركم بأن تحملوا أماناتكم وتستشعروا مسئولياتكم تجاه أمتكم التى ستحاسبون عليها بين يدى الله يوم القيامة وعلى رأس تلك الأمانات دماء الأسرى الذين قتلوا غيلة وغدراً.. وليوفقكم الله فى اتخاذ الخطوات التى تُخلى ساحتكم وتبرئ ذمتكم يوم تسألون.. ماذا فعلتم للثأر لهم والاقتصاص من قتلتهم؟

المستوى الثانى: المسلمون المتعاونون والمتعاملون مع اليهود: ونخص منهم من يتعاملون معهم اقتصادياً فى مجال التجارة والصناعة والزراعة وسياحياً وإعلامياً.. فنذكرهم بأن كل يهودى يمدون أيديهم لمصافحته قد يكون واحداً من الذين قتلوا أبناءنا الأسرى غيلة وغدراً أو ابناً له..

وأن كل سائح يهودى يأتـى إلى القرى السياحية التى تملأ سيناء شرقاً وغرباً قد يأتي ليتذكر تلك اللحظات التى قتل فيها الأسرى المصريين غيلة وغدراً ودفنهم في رمال الصحراء.

ونذكر الاقتصاديين المصريين أن كل دولار يكسبونه من اليهود هو دولار ملوث بدماء الأسرى الشهداء وهو ثمن بخس يدفعونه لنا لنسكت على دماء إخواننا وآبائنا.. ونذكرهم بأنهم مهما كسبوا من أموال فهم إلى فناء وهى إلى زوال وأنهم سيقفون بين يدى الله يوم القيامة ليُسألون عن ذلك المال كيف ومن أين اكتسبوه؟ كما جاء في قول النبى الكريم ﷺ: "لا تزول قدما عبدٍ حتى يسأل عن أربع" منها: "ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه".

المستوى الثالث: عامة المسلمين: أما أنتم يا عامة المسلمين.. ياتراب الأرض وملحها.. يا عصب الأمة وعضدها.. فأنتم الذين تعتمد عليكم الأمة فى الثأر لأبنائها والانتقام لشهدائها.. لا نطلب منكم إلا أمراً واحداً هو هين ويسير عليكم وهو قادر بفضل الله على تحقيق ما نصبو إليه.. قاطعوا اليهود.. قاطعوا اليهود.. قاطعوا

اليهود.. لا نقصد البضائع والسلع وإنما نقصد الناس والبشر.. قاطعوا كل يهودى يطأ بقدمه الغارقة فى دماء أبنائنا أرض مصر الطاهرة.. لا تصافحوه.. لا تتكلموا معه.. لا تبيعوا له ولا تشتروا منه.. لا تصادقوه فى نواديكم ولا تستضيفوه فى بيوتكم..

وعندما يقابلكم يهودى انظروا فى عينيه.. فقد تكون هاتان العينان السفاحتان استمتعتا برؤية أبنائنا الأحباء الشهداء تحت جنازير الدبابات تسحق عظامهم وتطحن أشلاءهم..

انظروا إلى يديه.. فقد تكون هاتان اليدان الغادرتان سكبتا الماء على الأرض فلما انحنى الحبيب الأسير الظمآن ليلتقط قطرات منها أطلق ذلك القاتل الرصاص على رأسه ففجرها..

انظروا إلى قدميه.. فقد تكون هاتان القدمان المجرمتان داستا على صدور ورءوس أحبائنا قبل أن يطلق القتلة الرصاص عليهم.

علموا أبناءكم وقصوا على أحفادكم حكايات أسرى المسلمين الذين قتلهم اليهود غيلة وغدراً.. فالأمل كل الأمل في الأجيال القادمة تتناقل الثأر لدمائنا جيلاً

بعد جيل.. ثأر لا يغيب عن الأذهان ولا تطويه الأيام..
وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾
وإن غداً لناظره قريب.

يا أيها المسلمون.. هذا ما فعله القتلة والسفاحون من أبناء يهود بآبائنا وإخواننا وأبنائنا وأحبائنا من الشهداء الأسرى..

فماذا أنتم فاعلون؟

لبنان وشبكة الاتصالات...
نصر جديد للمقاومة

نشر هذا الملف فى العدد السابع والأربعين السنة الرابعة

من مجلة التبيان بتاريخ

جمادى الأخرة ١٤٢٩هـ - يونيه ٢٠٠٨م

مقدمة

مثل جبل من الجليد.. يختفي منه في أعماق البحر أضعاف ما يطفو على سطحه.. وفي ظلام دامس في ليل حالك السواد.. وفي بحر عميق الأغوار متلاطم الأمواج.. برزت أزمة لبنان.

وعلى البعد علا صوت سفينة مقبلة.. لا ترى من الجبل إلا أعلاه.. تحسبه هيناً وهو عظيم.. كلما اقتربت منه علا صوتها واشتد زئيرها.. وفجأة ارتجت السفينة رجاً.. فتصدع بنيانها وانكسر شراعها وأصيب بالذعر ركابها.. ووقفوا جميعاً يتلاومون.. وبعضهم بعضاً يتهمون.. بالغفلة والجهالة.. والغدر والخيانة.. والنفعية والعمالة.. وفجأة تنزلت رحمة ربنا.. فرفع الكربة وأزال الغمة.. ولو إلى حين.

وفى هذا الملف نتناول بإذن الله أزمة لبنان وشبكة إتصالات المقاومة.. فنبين متى بدأت؟ وكيف تطورت؟ وإلى ماذا انتهت؟ من أطرافها؟ وما دوافعها؟ ومن يحركها؟!! والله من وراء القصد وهو الهادى سواء السبيل.

ماذا يحدث فى بيروت؟

قبل أن نتناول أحداث بيروت الأخيرة يجب علينا أن نعود بالزمن قليلاً إلى الوراء لنستعرض الوضع الذى كان يعيشه لبنان قبل الانفجار..

كان لبنان يعيش أزمة خانقة ومشكلة مستعصية

تأبى أن تجد حلاً.. تلك المشكلة هى انقسام القوى السياسية إلى فريقين.. فريق الموالاة أو الأكثرية أو (١٤ آذار) وهو الذى يتولى الحكم.. وفريق المعارضة أو (٨ آذار) وهو المقابل له.. ثم تطور ذلك الانقسام إلى خلاف بينهما بدأ مباشرة بعد انتهاء الحرب التى انتصر فيها (حزب الله) على إسرائيل.. ثم ظهر إلى العلن بعد أن انتهت ولاية رئيس الجمهورية السابق (إميل لحود) الذى كان معروفاً بمساندته للمقاومة وميوله الوطنية.. فخلا منصب الرئاسة ووجب انتخاب رئيس جديد للجمهورية..

ومن هنا بدأت الأزمة فقد طالبت الموالاة بانتخاب الرئيس فوراً.. بينما رفضت المعارضة ذلك إلا بعد تصحيح بعض الأوضاع السياسية غير الشرعية وغير القانونية لفريق الموالاة وفى نظام الحكم فى لبنان على العموم..

بداية الخلاف

● ● وكيف بدأ ذلك الخلاف بين الموالاة والمعارضة؟

● بدأ ذلك الخلاف مباشرة بعد انتهاء الحرب وانتصار (حزب الله) على إسرائيل عام (٢٠٠٦م) فقد

أحدث ذلك الانتصار انقلاباً مذهلاً في موازين القوى على الساحة اللبنانية نتج عنه الوضع التالي:

١-أمريكاوإسرائيل، بعد أن عجزتا بشكل مخزٍ ومهين عن هزيمة (حزب الله) عسكرياً عبر الحدود بدأتا فى التآمر عليه لضربه من الداخل وجره إلى صراع داخلى وحرب أهلية تستنزف قواه وتقضى على الصورة المشرفة التى اكتسبها فى العالمين العربى والإسلامى بوصفه قطب المقاومة وركيزتها ضد التحالف اليهودى الصليبى.. وكان الطريق إلى ذلك هو أن تحتضن أمريكا وإسرائيل قوى الموالاة فى لبنان وأن تتحالف معها لضرب الحزب من خلال دعمها بالمال والسلاح وبالقرارات الدولية المشبوهة.

٢-الموالاة، أدركت أن موازين القوى فى السياسة الداخلية فى لبنان قد انقلبت رأساً على عقب بظهور (حزب الله) بهذه القوة العسكرية التى فاجأت الجميع.. وأن الحزب لابد أن يوظف تلك القوة لدعم مكانته فى الصراع الداخلى وتحقيق مكاسب سياسية جوهرية على حساب الموالاة.

٣- (حزب الله)، استشعر ما يُدَبّر له فى الخفاء وأدرك أن الموالاة من الممكن أن تكون هى اليد التى يستخدمها

التحالف اليهودى الصليبى لضربه من الداخل مستغلاً فى ذلك نظام الحكم الذى يضفى عليها الشرعية ويمكنها من اتخاذ قرارات مصيرية ضده بشكل منفرد.. وقد ترسخ توجس الحزب من الموالاة حين بدأت بعض رموزها تتحدث عن سلاحه ووجوب إخضاعه لسيطرة الدولة متذرعة بالقرارات الدولية المشبوهة فى ذلك الشأن وعلى رأسها القرار رقم (١٥٥٩) الذى يدعو إلى نزع سلاح الميليشيات المسلحة فى لبنان.

ولم يكن ذلك التوجس طارئاً فقد صرح (حزب الله) أن عدداً من رموز الموالاة كانوا على اتصال بالعدو الإسرائيلى أثناء القتال فى الجنوب اللبنانى وأنهم عملوا على نصرة الإسرائيليين على مقاتلى الحزب.

وفى المقابل فقد اتهمت التصريحات الصادرة من الموالاة (حزب الله) بأنه قد تسبب فى خراب لبنان واستشهاد ما يزيد عن ألف وستمائة شهيد مقابل أسر جنديين إسرائيليين.. ثم أخذت التأكيدات تتكرر بأن قرار الحرب هو من حق الدولة وحدها.. وأن أى سلاح لاينبغى أن يخرج عن نطاق الجيش اللبنانى وحده.

لذلك فقد اتفق هدف التحالف اليهودى الصليبى مع

هدف الموالاة بوجوب القضاء على قوة (حزب الله) العسكرية وذلك بتحويله إلى حزب سياسي.. أو بانتزاع سلاحه.. أو على الأقل وضعه تحت سيادة الدولة وإمرة الجيش.. واجتمع الطرفان فى جبهة واحدة تعمل لهدف واحد..

ولذلك أيضاً بدأ (حزب الله) فى إعادة ترتيب أوراقه للتصدى لتلك الجبهة وإحباط مخططاتها ضده.. فبدأ بإعادة دراسة الوضع السياسى بكامله بين الطوائف المختلفة فى لبنان واستطاع أن يحدد أوضاعاً قانونية وسياسية خاطئة للموالاة وللنظام السياسى فيما يتعلق بتوزيع الحصص الوزارية فى الحكومة بين الطوائف المختلفة وطريقة انتخاب رئيس الجمهورية وأعضاء (مجلس النواب).. وكان أن اتخذ ذلك الموقف الذى رفض فيه انتخاب رئيس الجمهورية الجديد إلا بعد تصحيح تلك الأوضاع.

أوضاع خاطئة

●● وما تلك الأوضاع الخاطئة التى طالبت المعارضة بتصحيحها؟ وهل هذه الأوضاع جديدة وطارئة؟.. أو أنها قديمة وقائمة؟

● قبل أن تقع الحرب بين (حزب الله) وإسرائيل لم

تكن العلاقات بين الطوائف المختلفة فى لبنان، ونظام الحصص في الحكومة، وعدد الأعضاء فى (مجلس النواب) تثير خلافات أو مشكلات بينها.. لكن بعد الحرب وانتصار (حزب الله) بدأت الأمور تتغير بسرعة كما ذكرنا..

فعندما بدأت المناقشات والمداولات من جانب الموالاة مدعومة من الدول الغربية ودول ما يسمى بالاعتدال العربى حول نزع سلاح (حزب الله) وأخذ هذا الأمر يتكرر بين أعضاء الحكومة و(مجلس النواب) أدرك الحزب أن هناك وضعين سياسيين خطيرين من الممكن أن يصيباه بضرر بالغ فيما يتعلق بسلاحه الذى يعتبره خطاً أحمر غير مسموح بمناقشته أو الاقتراب منه.. هذان الوضعان هما:

١- أن رئيس الجمهورية له صلاحيات من الممكن أن تؤثر فى مصير الحزب وسلاحه تأثيراً شديداً وذلك بإصدار قرارات رئاسية أو الموافقة على قرارات الحكومة أو رفضها.. وكان انتخاب الرئيس يتم بموافقة ثلثى عدد أعضاء (مجلس النواب).. فإذا لم يكتمل ذلك النصاب يمكن انتخابه بأغلبية (النصف + ١).

٢- أن الحكومة تملك صلاحيات مماثلة وأنها

تستطيع أن توقع الضرر نفسه بالحزب وذلك لأن نظام الاقتراع داخل الحكومة كان يقر القوانين المعروضة عليها بأغلبية الثلثين.. وبما أن عدد الوزراء فى الحكومة ٣٠ وزيراً نصيب الموالاة منهم عشرون أى الثلثان والمعارضة عشرة أى الثلث فإن الموالاة كانت تملك الأغلبية القادرة على تمرير القوانين التى تريدها دون اعتبار لرفض المعارضة.. وهنا أدركت المعارضة أن هذا الوضع سواء فى طريقة انتخاب الرئيس أم فى اتخاذ القرارات داخل الحكومة يعرضها لمخاطر شديدة ويفتح الباب أمام الموالاة لكى تكون القناة الشرعية والقانونية التى تمر خلالها جميع القرارات المشبوهة والإجراءات الهادفة إلى ضرب (حزب الله) ونزع سلاحه.

مطالب المعارضة

●● فماذا كانت مطالب المعارضة للقضاء على ذلك الخطر المحدق بها؟

● طالبت المعارضة بثلاثة مطالب وضعتها في سلة واحدة وأصرت على تنفيذها فى وقت واحد وذلك على النحو التالى:

المطلب الأول: أن يكون اختيار رئيس الجمهورية

توافقياً: بمعنى أنه يشترط أن توافق عليه الموالاة والمعارضة معاً وليس على قاعدة أغلبية الأصوات فقط وبذلك تضمن المعارضة ألا يكون رئيس الجمهورية خصماً لها.

المطلب الثانى: تشكيل حكومة وحدة وطنية: بين الموالاة والمعارضة لا يملك فيها طرف أن ينفرد باتخاذ القرار.. أى لا يكون للموالاة عدد من الوزراء يمكنها من فرض القرارات وحدها كما هو الوضع القائم.

لذلك فقد طالبت المعارضة بأن تزيد حصتها من الوزراء عن الثلث أى تكون ١١ وزيراً أو (الثلث + ١) وهو ما يسمى (الثلث المُعَطِّل) أو (الثلث الضامن) وذلك لأن اعتراض ١١ وزيراً من المعارضة على أى قرار تقترع عليه الحكومة يبطله ويحرمه من أغلبية الثلثين المطلوبة لإقراره. حيث إن الموالاة لن يكون لها إلا ١٩ وزيراً فقط وبذلك تتحكم المعارضة فى اتخاذ القرارات وتضمن ألا يتم تمرير أى قرار إلا بموافقتها وهذا هو المطلوب.. وطبعاً فإنه من نافلة القول أن نذكر بأن أخطر الأمور الدافعة إلى ذلك المطلب هو خوف المعارضة من أن تتخذ الموالاة قراراً بحظر سلاح

المقاومة.. وهو ما يعتبره (حزب الله) خطأً أحمر على استعداد أن يخوض حرباً وقتالاً ضد من يتخطاه.

المطلب الثالث: تعديل قانون الانتخاب: ترى المعارضة أن عدد النواب الذين يمثلونها فى (مجلس النواب) فى الوقت الحالى لا يتفق مع الحجم الحقيقى لعدد وتوزيع السكان بين الطوائف المختلفة.. ففى الماضى كان عدد النواب الذين يمثلون كل طائفة فى منطقة انتخابية يتناسب مع عدد أبناء الطائفة فى تلك المنطقة.. وفى السنوات الأخيرة شهدت مناطق كثيرة زيادات كبيرة فى عدد أبناء بعض الطوائف واتساع فى مناطق سكناهم فى الوقت الذى ظل عدد النواب الممثلين لهم فى (مجلس النواب) على ما هو عليه.. وفى ذلك غبنٌ وهضمٌ لحقوق تلك الطوائف.. لذلك فقد طالبت المعارضة بإعادة تحديد المناطق الانتخابية لكى يتوافق عدد نوابها فى المجلس مع الزيادات التى حدثت لها فى السنوات الأخيرة.. وبالطبع فإن الفائز الأكبر إذا تم ذلك سيكون طائفة الشيعة التى زاد عدد أبنائها فى السنوات الأخيرة زيادة كبيرة وانتشرت أماكن إقامتهم فى مساحات واسعة من لبنان.

رفض الموالاة

●● وماذا كان موقف الموالاة من مطالب المعارضة؟

● رفضت الاستجابة لتلك المطالب وأصرت على أنها الأكثرية ومن حقها طبقاً لكل القوانين الديموقراطية فى دول العالم أن تنفرد باتخاذ القرار.. فردت المعارضة بأن هذا أمر مقبول فعلاً فى الدول ذات التجانس فى العرق والعقيدة واللون.. أما لبنان فله وضع خاص يوجب ويحتم التوافق بين طوائفه المختلفة.. ودليل على ذلك أن نظام الرئاسة فى لبنان موزع على الطوائف الرئيسية الثلاث.. فرئيس الجمهورية لابد أن يكون مسيحياً مارونياً ورئيس الوزراء من المسلمين السُنَّة ورئيس (مجلس النواب) من المسلمين الشيعة.. ولا يمكن لأى طائفة أن تحصل على نصيب طائفة أخرى.. وبينما يتيح النظام الديموقراطى فى أى دولة من دول العالم لأى مواطن فيها يتمتع بحقوق المواطنة أن يصبح رئيساً للجمهورية فإن الوضع فى لبنان يختلف.. فلا يمكن لمسلم سُنِّى أو شيعى أن يكون رئيساً للجمهورية.

ولكن الموالاة استمرت على رفض مطالب المعارضة وأصرت على أن يتم انتخاب رئيس الجمهورية أولاً..

ثم يتم مناقشة تشكيل الحكومة ثانياً.. وبعد ذلك تقوم الحكومة بمناقشة قانون الانتخابات.. وذلك على عكس موقف المعارضة التى طالبت بوضع المطالب الثلاثة فى سلة واحدة.

مرحلة الأفعال

●● **فماذا فعلت المعارضة لتحقيق مطالبها؟**

● قامت المعارضة باتخاذ ثلاثة إجراءات:

الأول: سحبت وزراءها من الحكومة وبذلك اعتبرت أن الحكومة غير شرعية حيث ينص الدستور على وجوب أن تمثل الحكومة جميع الطوائف فى لبنان، وبما أن الطائفة الشيعية وهى إحدى الطوائف الرئيسية الثلاث قد انسحبت بالكامل من الحكومة فإنها تصبح غير شرعية.

الثانى: بدأت فى حملة للعصيان المدنى تمثلت فى إقامة معسكر اعتصام فى الميدان المقابل لمبنى سراى الحكومة بدأت فى أول ديسمبر عام (٢٠٠٦م) وأعلنت أنها لن تفض اعتصامها إلا بعد الاستجابة لمطالبها.

الثالث: قامت بالتعطيل المتكرر لعملية انتخاب رئيس جديد للجمهورية وكان ذلك يتم بأن يدعو (مجلس

النواب) الذى يرأسه الزعيم الشيعى (نبيه برى) لعقد جلسة لانتخاب رئيس الجمهورية.. وفى الموعد المحدد يتغيب نواب المعارضة فلا يكتمل النصاب القانونى لعقد الجلسة فيتم تأجيلها إلى موعد لاحق.. وهكذا. وقد تكرر ذلك طوال ١٩ جلسة.

وبذلك يمكن تلخيص الوضع السابق مباشرة لانفجار الأوضاع فى لبنان على النحو التالى:

الدولة: بدون رئيس للجمهورية ولا يمكن انتخاب رئيس جديد إلا باكتمال نصاب اجتماع (مجلس النواب) وهذا الأمر تتحكم فيه المعارضة..

الحكومة: غير شرعية لغياب وزراء طائفة بأكملها عنها وهى طائفة الشيعة..

المعارضة: لها ثلاثة مطالب تضمن لها المشاركة الفعلية فى حكم البلاد وضمان عدم صدور أى قرار إلا بموافقتها.. وتطالب بتحقيقها في صفقة واحدة.

الموالاة: ترفض هذه المطالب وتصر على انتخاب الرئيس أولاً. ثم يتم بحثها ثانياً.

ومَثَّل هذا الوضع أزمة خانقة ضاغطة على أعصاب جميع اللبنانيين حكاماً ومحكومين وارتفعت أصوات كثيرة فى العالمين العربى والخارجى تستنكر ذلك

الموقف الذى جمد الحياة السياسية فى لبنان وأصابها بالشلل بعضها يدين المعارضة والآخر يدين الموالاة.

وظل هذا هو الوضع السائد فى لبنان حتى بدأت نذر الانفجار تلوح فى الأفق..

نذر الانفجار

فعلى حين فجأة.. وبدون أى سابق إنذار وبلا أى سبب مفهوم بدأ عدد من قيادات الموالاة يتساءلون عن شبكة اتصالات سلكية أقامها (حزب الله) فى مطار بيروت وعدد من المناطق اللبنانية موازية لشبكة الاتصالات الحكومية واصفين إياها بغير الشرعية.

ثم انبرى الزعيم الدرزى (وليد جنبلاط) وبشكل مفاجىء فأشعل فتيل النيران عندما تحدث فى نبرة عنيفة وعدائية عن تلك الشبكة متهماً (حزب الله) بوضع كاميرات لمراقبة الوافدين إلى المطار من قادة الموالاة ومن الزوار الأجانب قائلاً: إن الهدف منها هو تدبير عمليات اغتيال وتفجير للطائرات.. ثم دعا إلى طرد السفير الإيرانى ومنع الطائرات الإيرانية من الهبوط فى مطار (بيروت) الدولى متهماً إياها بأنها وسيلة (حزب الله) لتهريب السلاح إليه.. ثم دعا إلى

إقالة قائد أمن المطار العميد (وفيق شقير) متهماً إياه بالتبعية للحزب.

- تصدى (حزب الله) للدفاع عن موقفه فقال إن تلك الشبكة قائمة منذ سنوات والدولة على علم بها وكان لها دور حيوى وخطير فى انتصاره على إسرائيل عام (٢٠٠٦م) وأنها لا تتعارض على الإطلاق مع الشبكة الحكومية.

ثم ذكر أن الموالاة لم تعتبر وجود تلك الشبكة اعتداء على سيادة الدولة بدليل أنها عرضت على الحزب أن يفك اعتصامه المقام أمام سراى الحكومة مقابل أن تتغاضى عن وجودها ورفض الحزب ذلك.. ثم تساءل عن السبب وراء اختيار ذلك التوقيت لتفجير تلك القضية والإعلان عن ذلك الأمر.. ثم حذر (حزب الله) الحكومة من المساس بتلك الشبكة أو المسئولين عنها وذكر أنها خط أحمر لا يجوز الاقتراب منه وذكر على لسان زعيم الحزب (حسن نصر الله) فى خطاب نارى أنه سيقطع اليد التى تمتد إليها وأنه سيتعامل مع من يفعل ذلك على أنه عميل لإسرائيل.. ثم أكد على ذلك بأن جيوش العالم كلها لا تستطيع تفكيك تلك الشبكة أو الاقتراب منها.. ثم أضاف بأن قائد أمن المطار أيضاً

خط أحمر لا يُمسّ.

وفجأة وبينما الأعصاب مشدودة والأنفاس لاهثة والقلوب واجفة.. والكل يبحث عن بصيص أمل لانفراج الكرب ونزع فتيل الأزمة.. وفى يوم الاثنين الموافق ٥ مايو (٢٠٠٨م) بعد جلسة عاصفة استمرت أكثر من ١٠ ساعات لمجلس وزراء الموالاة انتهت مع فجر الثلاثاء وبطريقة تثير الكثير من التساؤلات والريبة أصدرت الحكومة بياناً مكتوباً تلاه وزير الإعلام (غازى العريضى) وأعلنت فيه قرارين كانا القشة التى قصمت ظهر البعير وأشعلت النيران فى البيت اللبنانى.. هذان القرار ان هما:

١- اعتبار شبكة الاتصالات التى أقامها (حزب الله) فى بيروت والجنوب اللبنانى غير شرعية وعزم الدولة على تفكيكها ومحاسبة كل من يثبت أنه تورط فى المشاركة فى إقامتها.

٢- إقالة قائد أمن المطار العميد الشيعى (وفيق شقير) من منصبة وإعادته إلى ثكنات الجيش بسبب عدم إبلاغه الحكومة عن الشبكة.

ومن الغريب والمريب أنه فى حين حاول بعض أقطاب الموالاة تأجيل اتخاذ القرارين والتمهل والتريث فى

شأنهما فإن (وليد جنبلاط) هو الذى تزعم تيار التشدد فى الاجتماع وأصر على إصدار القرارين وهدد بالاستقالة من الحكومة والانسحاب من فريق الموالاة إذا لم يصدر القراران.

الانفجار

وهنا انفجر البركان واشتعلت النيران.. فقد أدركت المعارضة أن هذه الخطوة الخطيرة لها ما بعدها.. وأنها البداية لعملية مخططة لتدمير سلاح المقاومة أو استفزازها لصدام داخلى.. وأن الموالاة تهدف إلى وضع المقاومة فى أحد موقفين:

الأول: أن ترضخ للقرارين فتبدأ الحكومة بالفعل فى تفكيك الشبكة التى تعتبر العمود الفقرى لقوات المقاومة المسلحة.. وفى ذلك بداية للقضاء على سلاح (حزب الله).

الثانى: أن ترفض القرارين فتدخل فى صدام تُستدرج فيه إلى قتال داخلى ضد الموالاة يتيح لخصومها تشويه صورتها بادعاء أن المقاومة التى طالما أعلنت وتعهدت ألا توجه سلاحها إلى داخل لبنان، وأنها لا ولن تستخدمه إلا ضد إسرائيل.. هاهى أخيراً تكشف

عن نفسها وتُخْلِف وعودها فتوجه سلاحها لقتال اللبنانيين.

وبذلك تكسب الموالاة فى الحالتين.. إن رضخت المقاومة قُضِىَ عليها.. وإن قاومت تشوهت صورتها.

●● ولكن ما شبكة الاتصالات هذه؟ وما السبب فى تلك الدرجة من الأهمية والخطورة التى يوليها إياها (حزب الله)؟

● تعتبر شبكة الاتصالات الخاصة بحزب الله والتى يقابلها فى الجيوش النظامية ما يسمى (سلاح الإشارة) هى العمود الفقرى لقواته العسكرية.. ذلك لأنه من المعروف أن سلاح الحزب ليس مجرد عتاده العسكرى من صواريخ وذخائر وآليات ولكن يشمل أيضاً القيادة والمقاتلين فى الميدان وبينهما شبكة اتصالات تضمن سرية نقل الأوامر والتعليمات بينهما، وتؤمن السلامة الشخصية لكل عناصرهما. وقد امتلك (حزب الله) الذى يعتبر من أكثر المنظمات المقاتلة فى العالم تجهيزاً وتدريباً وتسليحاً شبكة اتصالات أرضية تعمل بالألياف البصرية ربطت مقره الواقع بضاحية بيروت الجنوبية بجميع قواعده العسكرية ومقاتليه فى الجنوب اللبنانى على الجبهة مع إسرائيل.. وعلى حين استطاعت إسرائيل اختراق نظام

الاتصالات اللاسلكية بما فيها الهاتف النقال في كل أنحاء جنوب لبنان واختراق نظام الاتصال الهاتفى الحكومى فإنها لم تستطع اختراق شبكة اتصالات (حزب الله).. لذلك فقد عزم الحزب بعد الانتهاء من الحرب على توسيع هذه الشبكة لتغطى كل المناطق التى تقع فى إطار استراتيجيته العسكرية.

ويتضح لنا جانب من أهمية وخطورة هذه الشبكة حين نتذكر أن معظم قيادات المقاومة الفلسطينية التى اغتالتها إسرائيل قد تم رصدها وتحديد مكانها ومن ثم قتلها بواسطة اختراق شبكة الاتصالات التى كانوا يستخدمونها فى هواتفهم المحمولة.

كذلك يجب أن نعلم أن الكشف عن هذه الشبكة أو اختراقها سيمكن العدو الإسرائيلى من رصد وتدمير أى عمليات أو تحركات تقوم بها المقاومة فى أى معركة قادمة.

لذلك فقد كان رد (حزب الله) متفقاً مع حجم الخطر المحدق به والامتحان الصعب الذى وضعته فيه الموالاة والذى أغلق أمامه كل أبواب الخيارات إلا.. أن يكون.. أو لا يكون.. لذلك فقد فاجأت المقاومة أقطاب الموالاة بالرد.. وكان سريعاً عاصفاً لم يتوقعه أحد على

الإطلاق حيث قامت فى سرعة خاطفة وبتنظيم غاية فى الدقة بالسيطرة على مختلف أحياء بيروت الغربية (التى تسكنها أغلبية مسلمة) والاستيلاء على مختلف مراكز ومقار الموالاة ثم تسليمها للجيش اللبنانى.. كما قامت بإغلاق الشوارع وقطع الطرق الرئيسية فى العاصمة بما فيها المؤدية إلى مطار بيروت الدولى مما أدى إلى إغلاقه وتوقف حركة الملاحة به.. وتمت كل هذه العمليات بأقل قدر ممكن من الاشتباكات أو الصدامات مع عناصر الموالاة.

ومن الجدير بالذكر أن نعلم أن العناصر التى قامت بتلك المهام هى من (سرايا المقاومة) التى كونتها المعارضة منذ عامين تقريباً بهدف توفير أمن المقاومة داخل لبنان.. فى حين بقيت عناصر مقاتلى (حزب الله) مستنفرة فى مواقعها على الحدود.. ويقدر عدد أفراد (سرايا المقاومة) بستة آلاف مقاتل.. بينما يتراوح عدد مقاتلى الحزب بين العشرة والعشرين ألفاً غير قوات الاحتياط.

انهيار الموالاة

كان لذلك التحرك وقع الصاعقة على الموالاة فهى لم

تتخيل على الإطلاق أن يكون رد المعارضة بتلك السرعة وذلك الحسم.. لذلك فقد ارتبكت ارتباكاً شديداً وأخذ زعماؤها يتبادلون الاتهامات حول هروب بعضهم من المواجهة مع قوى المعارضة.. وفى هذا الإطار غادر (وليد جنبلاط) بيروت ولجأ إلى قصره فى الجبل.. وحتى يزيل أى ذريعة للمقاومة لمقاتلته قام بتوكيل الأمير الدرزى المنافس له وعضو المعارضة (طلال ارسلان) بالاتصال بها لتهدئة الموقف.. كما أوكل إليه تسليم مراكزه ومقاره الأمنية ومخازن أسلحته الثقيلة والمتوسطة للجيش لامتصاص غضب وثورة المعارضة التى انفجرت ضده واعتبرته السبب الأول فى انفجار الأوضاع.

وانقلب الحال رأساً على عقب.. وفى تراجع مهين.. وفى خطاب تصالحى.. ولهجة ودودة رقيقة تختلف اختلافاً كلياً عن لهجته العدائية فى بداية الأزمة دعا (وليد جنبلاط) السيد (حسن نصر الله) إلى تجنيب الأهل نتائج أى خلاف أو ثأر بينهما وناشده المحافظة على حرمات البيوت.

- أما السيد (سعد الحريرى) فقد أنكر على الفور أى نية لديه لقتال المعارضة وأعلن من جانبه أنه لا توجد

لديه ميليشيات مسلحة وحاول فى خطاب ألقاه تهدئة الأمور ومناشدة السيد (حسن نصر الله) مراعاة الأخوة الإسلامية والحفاظ على الوحدة والتراحم بين المسلمين فى لبنان عارضاً عليه عدة بنود تصالحية رفضها (حزب الله) على الفور جملة وتفصيلاً، وناشد الحريرى (نصر الله) اتخاذ موقف تاريخى ينقذ لبنان من الجحيم.

- أما السيد (فؤاد السنيورة) رئيس الوزراء فقد ألقى خطاباً حاول فيه التأكيد على أن القرارين اللذين فجرا الأوضاع لم يصدرا بعد.. وأنهما أحيلا إلى عهدة الجيش ليقرر بشأنهما ما يراه مناسباً.

وفى مقابل كل تلك الخطوات التراجعية والخطب التصالحية لامتصاص غضب المعارضة العارم وتهدئة الموقف أصرت المعارضة على أنه لا بديل عن إلغاء القرارين إلغاءً صريحاً لا لبس فيه.. ولا يكفى فى ذلك الأمر إحالتهما إلى الجيش حتى وإن كان الجميع يعلم أن الجيش سيوقف تنفيذهما..

- ونزل الجيش اللبنانى إلى بيروت وطالب المسلحين من الطرفين بالانسحاب من أحياء المدينة وإعادة الوضع إلى ما كان عليه وبالفعل استجابت

المعارضة وسلمت الجيش ما تحت يدها من مقار ومراكز تابعة للموالاة والأسلحة التى استولت عليها..

وفى بيان صادر عن قيادة الجيش وفى خطوة اعتبرها الجميع بادرةً طيبةً لتهدئة الأمور وانتصاراً للمعارضة قالت القيادة: بعد وضع القرارين سبب الأزمة في عهدة الجيش واعتبار أنهما لم يصدرا من الحكومة.. تعلن قيادة الجيش إبقاء العميد الركن (وفيق شقير) قائداً لأمن المطار.. والتعامل مع شبكة الاتصالات بمالا يضر المصلحة العامة ولا أمن المقاومة.

ثم طالب الجيش الحكومة بإلغاء القرارين وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل إصدارهما.. وسادت الشارع اللبنانى موجة من التفاؤل بقرب استجابة الحكومة لمطلب الجيش وعودة الأمور إلى سابق عهدها..

عودة الروح

وفجأة.. دبت الروح فى فريق الموالاة من جديد فنكصت قياداته عن اللهجة التصالحية وعادت إلى تصعيد الموقف مرة أخرى.. وكان السبب فى ذلك كما قيل هو اتصال القائمة بأعمال السفارة الأمريكية فى

بيروت بقيادات الموالاة ووعدهم بالدعم الأمريكى والغربى واتصال السفير السعودى بالسيد (فؤاد السنيورة) ومطالبته بعدم الاستقالة أو إلغاء القرارين، وعودة المدمرة الأمريكية (كول) إلى الشواطىء اللبنانية وإعلان الرئيس الأمريكى أن الهدف من عودتها هو الحفاظ على حياة قيادات الموالاة ودعم الجيش اللبنانى.. ثم إعلان الرئيس الأمريكى أن أمريكا ستعمل مع حلفائها فى الغرب على محاسبة المسئولين عما حدث فى إشارة لـ (حزب الله).

●● وما مظاهر عودة الروح لقيادات الموالاة؟

● كان من تلك المظاهر:

١- إعلان قيادات الموالاة أن استقالة الحكومة غير واردة على الإطلاق.

٢- إعلانها أن استخدام المعارضة للسلاح فى تحقيق مطالبها أمرمرفوض رفضاً تاماً.

٣- اعتداء الميلشيات المسلحة التابعة لسعد الحريرى فى شمال لبنان على المؤيدين للمقاومة.

٤- تراجُع (جنبلاط) عن توكيله الأمير (طلال أرسلان) بتسليم مراكزه ومخازن أسلحته للجيش.. والإيعاز إلى عناصر حزبه بالانتشار بأسلحتهم فى

الأحراش وعدم تسليمها للجيش.

٥- إعلان (فؤاد السنيورة) أنه عندما أعلن أن القرارين لم يصدرا بعد كان يقصد أن مرسوم تنفيذهما هو الذى لم يصدر.

وعود وأمانى

وقد عادت معنويات قادة الموالاة إلى الارتفاع وظنوا أن التأييد الغربى بقيادة أمريكا والدعم العربى بقيادة المملكة العربية السعودية من الممكن أن يُتَرْجَم إلى تدخل عسكرى يكسر شوكة (حزب الله) وينتزع منه المكاسب التى حققها على الأرض.. ولكنهم فوجئوا أن هذا الدعم لم يتعد مرحلة الوعود والأمانى.. وأنه لم يَفُتَّ فى عضد (حزب الله) ولم يدفعه للتراجع قيد أنملة عن إصراره على إلغاء القرارين.. وأدركت الموالاة أن كل ذلك التهديد والوعيد الذى صدر عنهم وعن مؤيديهم خارج لبنان لم يُجْدِ نفعاً أمام الحقائق التى تبلورت على الأرض.. وأهمها سيطرة المقاومة على (بيروت) وعلى أجزاء أخرى من لبنان.. واكتسابها دعماً شعبياً لبنانياً وعربياً باعتبار أن ما قامت به هو خطوة على طريق التصدى للمشروع اليهودى الأمريكى فى الشرق

الأوسط.. وأدركت الموالاة أنها فى الحقيقة تقف عارية ومكشوفة أمام المقاومة.

وفى هذا المقام قالت مصادر مطلعة لصحيفة (المنار) المقدسية إن دوائر أمريكية وإسرائيلية وسعودية كانت تنتظر مفاجات يحققها فريق الموالاة لصالح محورهم حيث كانوا يعتقدون أن (حزب الله) لن يرد وسيكتفى بإصدار البيانات.. كما أن فريق الموالاة قد تم إبلاغه بوجود خطة أمريكية إسرائيلية بمشاركة دول عربية لإنزال وحدات عسكرية فى بيروت بعد يومين من إشعال الفتنة وتفجير الأوضاع وذلك لإشغال المقاومة والتمهيد لعدوان إسرائيلى واسع عليها فى الجنوب اللبنانى لا سيما أن المدمرة (كول) موجودة على مقربة من الساحل اللبنانى.

وفى هذا المجال أيضاً أكدت مصادر مطلعة أن قيادات الموالاة أقامت فى (بيروت) وبترتيب واتفاق مع الأجهزة الأمنية فى الولايات المتحدة وإسرائيل غرفة عمليات سرية تضم خمسة من عناصر الأمن الأجانب إضافة إلى قيادات الموالاة.

كما أفادت نفس المصادر أن تعليمات من عواصم عدة صدرت إلى بعض القيادات الموالية لإسرائيل

وواشنطن بوجوب مغادرة لبنان أو الإقامة فى مواقع حصينة تحت حراسة مشددة.. كذلك فقد تم تكليف خلايا من ميلشيات (سمير جعجع) بالقيام بعمليات اغتيال وقتل وتصعيد هذه العمليات فى الأيام التالية تمهيداً لإحداث فتنة كبرى تكون ذريعة لتدخل عسكرى دولى وعربى.

وكانت حكومة الموالاة قد طالبت أمريكا بتزويد الجيش اللبنانى بأسلحة متقدمة ولكن إسرائيل أحبطت ذلك الطلب لأمرين:

الأول: اعتقاد إسرائيل أن قادة الجيش هم من الوطنيين المخلصين.. وأنهم لن يستخدموا ذلك السلاح أبداً ضد (حزب الله) وهو الأمر الذى أثبتته الأحداث.

الثانى: خوف إسرائيل من أن يقع ذلك السلاح فى يد (حزب الله) كما وقع السلاح الذى قدمته أمريكا لقوات (محمد دحلان) فى غزة فى يد حركة (حماس) فى يونيو (٢٠٠٧م).

وكانت حكومة (بوش) قد أنفقت خلال العامين الماضيين أكثر من ١,٣ مليار دولار لدعم حكومة (السنيورة) منها حوالى ٤٠٠ مليون دولار مخصصة لدعم قوى الأمن اللبنانية.. غير أن مساعدات أمريكا لم

نفع بعد أن وضع مقاتلو (حزب الله) حكومة السنيورة تحت حصار خانق.

الرضوخ والتسليم

●● فماذا كانت نتيجة إدراك الموالاة لضعف موقفها وعدم صدق الدعم الخارجى لها؟

● بعد أن شعرت الموالاة بالخذلان من الحلفاء الإقليميين والدوليين الذين وعدوها بالدعم والمساندة ولم يفعلوا.. لم تجد أمامها مفراً من التراجع والقبول بتقديم التنازلات.. وخضعت الموالاة وانصاعت لموازين القوى التى فرضها (حزب الله) بقوته وحسمه على أرض الواقع.. فأعلنت حكومة (فؤاد السنيورة) فى وقت متأخر من مساء الأربعاء ١٤ مايو (٢٠٠٨م)، إلغاء القرارين اللذين تسببا فى اشتعال الأزمة والمتعلقين بشبكة الاتصال السلكى الخاصة بالمقاومة فى مطار (بيروت) وإقالة مدير أمن المطار العميد (وفيق شقير).

ويرى المراقبون أن إلغاء حكومة السنيورة لهذين القرارين لا يعنى أن الموالاة قد تراجعت عن تأييدها للمشروع الصهيونى الأمريكى وأنها خضعت للمقاومة بشكل نهائى.. وإنما كان ذلك فرصة لالتقاط الأنفاس

ومحاولة لاستيعاب الأحداث ورضوخاً لأمر واقع فرضته المقاومة بحسمها وسرعتها غير المتوقعة وباستخدام السلاح فى الدفاع عن سلاحها وإصرارها على إلغاء القرارين.

مؤتمر وزراء الخارجية العرب

●● وماذا كان رد فعل الدول العربية؟

● كان لانهيار الموالاة وحسم المعارضة الموقف لصالحها وقع الصدمة على ما يسمى بدول الاعتدال العربى فدعت مصر والسعودية إلى عقد اجتماع طارئ لوزراء الخارجية العرب فى القاهرة لبحث الأوضاع الخطيرة فى لبنان... وبالفعل انعقد الاجتماع يوم الأحد ١١ مايو (٢٠٠٨م) بالقاهرة وقرر تشكيل لجنة برئاسة وزير الخارجية القطرى الشيخ (حمد بن جاسم) وعضوية السيد (عمرو موسى) الأمين العام لجامعة الدول العربية ووزراء خارجية كل من الجزائر والمغرب واليمن وجيبوتى والأردن والإمارات وسلطنة عمان والبحرين.. وخلت اللجنة من ممثلى الدول المنحازة لأى من الطرفين.. وتم الترتيب لسفر الفريق فوراً إلى بيروت للقاء زعماء كافة الطوائف اللبنانية

المتناحرة لوضع حد سريع ينقذ لبنان من الانجراف إلى الهاوية. وأصدر المجلس بياناً أكد فيه على أن تكون المبادرة العربية أساس التفاوض.

وفى الاجتماع تبنت مصر والسعودية وبعض دول الخليج موقف الموالاة بينما تبنت سوريا موقف المعارضة.. وساد الاجتماع خلافات صريحة ونقاشات حادة بين وزير الخارجية السعودى وممثل وزير الخارجية السورى.. فحين طالب الأول بإدانة ما قام به (حزب الله) رفض الثانى ذلك باعتباره انحيازاً لطرف ضد الطرف الآخر، ولا يعطى أى فرصة للتفاهم والتهدئة.. وعندما طالب الأول بإرسال قوات عربية مسلحة لحماية اللبنانيين من سلاح (حزب الله).. أنكر عليه الثانى ذلك متسائلاً: هل تريد إرسال قوات عربية إلى لبنان لمقاتلة اللبنانيين دفاعاً عن (سمير جعجع) الجاسوس الإسرائيلى والعميل الذى أصبح اليوم حليفكم؟.. وهل تريد أن تفرض علينا مفاهيمك وتوهمنا أن إيران المسلمة هى العدو وليست إسرائيل الصهيونية التى تقتل نساءنا وأطفالنا يومياً؟ وتحاصر الفلسطينيين حصاراً خانقاً وظالماً فى غزة؟ وهل تريد أن ترسل القوات إلى لبنان الآن في حين أنك

لم تطلب ذلك بل لم تحرك ساكناً يوم أن كانت إسرائيل تجتاح جنوب لبنان وتقصف جميع مدنه وقراه وتقتل النساء والأطفال؟.

وأخيراً وبعد جلسة عاصفة.. صدر بيان متوازن وغير منحاز لطرف على حساب الطرف الآخر.. وسافرت اللجنة الوزارية إلى بيروت.

مؤتمر الدوحة

التقت اللجنة الوزارية بكل الفرقاء وزعماء الطوائف فى لبنان وقدم لهم الوزير القطرى دعوة للالتقاء فى (الدوحة) عاصمة قطر وعدم العودة إلى لبنان إلا بعد الوصول إلى حلول لكل خلافاتهم..

وبالفعل سافر زعماء الطوائف المختلفة لكل من فريقى الموالاة والمعارضة إلى (الدوحة) وعلى مدى خمسة أيام انتهت يوم الأربعاء ٢١ مايو (٢٠٠٨م) انعقدت سلسلة من الاجتماعات العاصفة بين الفرقاء نجحت فى نهايتها الأطراف المتناحرة فى التوصل إلى اتفاق أنهى الأزمة السياسية الخانقة التى استمرت ثمانية عشر شهراً وكادت تعصف بالبلاد.

ويقضى الاتفاق بما يلى:

١- الدعوة الفورية لانتخاب قائد الجيش العماد (ميشيل سليمان) رئيساً توافقياً للجمهورية.

٢- تشكيل حكومة وطنية من ٣٠ وزيراً توزع على أساس ١٦ وزيراً للموالاة و١١ للمعارضة و٣ لرئيس الجمهورية.

٣- اعتماد (القضاء) على انه الدائرة الانتخابية طبقاً لقانون ١٩٦٠م.

وتعهدت الأطراف بعدم اللجوء إلى السلاح أو العنف لحل الخلافات بينها أياً كانت وتحت اى ظروف وبعدم انسحاب الوزراء من الحكومة أو النواب من (المجلس النيابى) لأى سبب.

وبادر السيد (نبيه برى) قطب المعارضة بإثبات حسن النوايا فأعلن عن فك اعتصام المعارضة المنعقد منذ ما يقرب من عام ونصف.. كما أعلن أنه سيدعو لاجتماع مجلس النواب اللبنانى لانتخاب العماد (ميشيل سليمان) رئيساً توافقياً للجمهورية فور عودتهم جميعاً إلى بيروت.

وبالفعل تم رفع الاعتصام فى اليوم التالى مباشرة.. وتم انتخاب العماد (ميشيل سليمان) رئيساً توافقياً للجمهورية اللبنانية يوم الأحد ٢٥ مايو (٢٠٠٨م). ثم

قامت الموالاة بإعادة اختيار (فؤاد السنيورة) رئيساً للوزراء تمهيداً لتشكيل الحكومة الوطنية وذلك فى يوم الثلاثاء ٢٧ مايو.

وبذلك تم انتزاع فتيل الأزمة.. وانطفأت النيران.. ولو إلى حين!!

أسرار القرارين

●● **هل يمكن تفسير السبب واختيار التوقيت لاتخاذ هذين القرارين؟**

● لقد كان اتخاذ هذين القرارين مفاجأة للجميع بلا استثناء.. لذلك فقد تضاربت الآراء وتعددت التفسيرات محاولة أن تتقصى أسبابها والدوافع المحركة لها.. ولكن يمكن تلخيص معظم آراء المحللين والمراقبين علي النحو التالى:

فيما يتعلق بالقرار الأول (شبكة الاتصالات السلكية): هناك أمران خطيران ينبغى العلم بهما:

الأول: نشرت وكالة مونتريال تقريراً عن دراسة إسرائيلية موثقة تحمل كلاماً خطيراً عن دور حكومة الموالاة فى لبنان فى خدمة مخططات إسرائيل العسكرية سواء بعلمها أم بدونه.. حيث أن خريطة انتشار شبكة اتصالات (حزب الله) بكافة تفاصيلها

أصبحت في يد المخابرات الإسرائيلية وذلك لأن وزير الاتصالات اللبناني (مروان حمادة) وبموافقة (فؤاد السنيورة) رئيس الوزراء أرسل نسخاً منها إلى مجلس الأمن فوصلت صورة منها فى اليوم نفسه إلى إسرائيل.

وتقول الدراسة: إن الجيش الإسرائيلى يرى أن أى حرب جديدة مع (حزب الله) لا يمكن أن تُشَنَّ قبل تدمير شبكة الاتصالات.. ويمكن القيام بذلك من خلال ضغط أمريكا على أصدقائها اللبنانيين فى حكومة الموالاة.. ومابناه (حزب الله) فى سنوات يمكن تدميره على يد هذه الحكومة فى أسابيع.. وذكرت الدراسة أن واحداً من أهم أسباب انتصار (حزب الله) على إسرائيل فى حرب (٢٠٠٦م) هو وجود تلك الشبكة التى مكنت قيادته من السيطرة على المعارك فى كل مراحل الحرب دون تعرضها للاختراق أو التنصت.

الثانى: كان مجلس الأمن على وشك الانعقاد يوم الخميس التالى للثلاثاء الذى صدر فيه القراران.. وذلك لمناقشة التقرير الذى أعده مندوب الأمم المتحدة الخاص بلبنان (تيرى لارسن) يبين فيه مدى التقدم الذى تم إحرازه فى تطبيق القرار (١٥٥٩م) الخاص

بنزع سلاح الميلشيات فى لبنان.. ومعلوم أن هذا المندوب متهم من قبل المعارضة بتحيزه الفاضح لفريق الموالاة وتبنيه أطروحات إسرائيل الأمنية واستراتيجية المواجهة مع (حزب الله) ونزع سلاحه.. ولما لم يجد المندوب أى افتراءات أو مزاعم يستطيع أن يضمنها تقريره لاستهداف (حزب الله) تقرر تكليف (وليد جنبلاط) بتفجير قضية شبكة الاتصالات وعدم شرعيتها ثم قيام حكومة الموالاة بتقديم شكوى إلى مجلس الأمن مطالبة إياه بأن يتولى مسئولية تفكيكها كما فعلت من قبل حين طالبته بالتحقيق في مقتل الحريرى فيصدر المجلس قراراً بوجوب تفكيك الشبكة وتوسيع نطاق عمل القوات الدولية (اليونيفيل) الموجودة على الحدود اللبنانية الإسرائيلية إلى منطقة المطار لتصبح تحت السيطرة المباشرة لها تمهيداً لتنفيذ تلك المهمة.

وهذا هو تفسير سبب الاستعجال الشديد فى إصدار الحكومة اللبنانية للقرارين من خلال جلسة استمرت عشر ساعات ولم تنته إلا مع بزوغ فجر الثلاثاء حتى يمكن تضمينهما فى تقرير (المندوب) أمام مجلس الأمن ثم يتخذ المجلس قراراً بهما عصر يوم الخميس التالى

له.. وهذا هو تفسير تزعم (وليد جنبلاط) وتشدده وإصراره على إصدار القرارين في الموعد المحدد لهما وإلا انسحب من الحكومة.

٢- القرار الثاني: إقالة العميد (وفيق شقير) قائد أمن المطار: ذكر موقع الحقيقة أن (ديفيد وولش) مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية، والسفارة الأمريكية في بيروت طلبا رسمياً من الحكومة اللبنانية تعيين العميد (عدنان داود) ضابطاً لأمن المطار بدلا من العميد (وفيق شقير)..

والعميد (عدنان داود) هو الضابط بقوى الأمن الداخلى المعروف بـ (بطل فضيحة مرجعيون) أثناء الحرب الإسرائيلية على لبنان عام (٢٠٠٦م) والذى كان آنذاك برتبة (عقيد).

فقد سمح لقوات إسرائيلية بدخول ثكنة عسكرية لبنانية هى ثكنة (مرجعيون) التى كانت تحت إمرته وذلك بناء على تعليمات الوزير (أحمد فتفت) وزير الداخلية بالنيابة فى حكومة الموالاة أثناء الحرب..

وبعد أن رفع العقيد راية الاستسلام البيضاء.. وسلم أسلحة جنوده للإسرائيليين الذين قاموا بتفتيش المكان بحثاً عن مقاتلى (حزب الله).. قام بتقديم الشاى

للجنود الإسرائيليين فى مكتبه!! ولم يعرف أحد تلك التفاصيل حتى قام التلفاز الإسرائيلى بنشرها مع تصوير بالفيديو موجود على موقع (يوتيوب) تحت عنوان (فضيحة مرجعيون).. وطبعاً هذا هو طبع اليهود فى فضح وإذلال أصدقائهم وأعوانهم. وبعد أن سلم العقيد الثكنة للإسرائيليين وخرج الجنود اللبنانيون منها قصفتهم الطائرات الإسرائيلية فقتلت ستة منهم.. وطبعاً أيضاً هذا جزاء اليهود لأعوانهم وعملائهم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وفور انتهاء الحرب قامت حكومة الموالاة بترقية العقيد المذكور إلى رتبة العميد وبررت ذلك بأنه جَنَّب جنوده التعرض لمذبحة محتملة من قبل الإسرائيليين.. أما بخصوص تقديم الشاى للضيوف الإسرائيليين فقد صرح الوزير (أحمد فتفت) عضو حكومة الموالاة بأن هذا أمر معروض على القضاء وهو الذى يبت فيه.. ونسيت حكومة الموالاة التى صَدَّعت الرءوس بالحديث عن سيادة الدولة.. وكرامة الدولة.. وهيبة الدولة.. أن الإسرائيليين فى

مرجعيون قد داسوا سيادة هذه الدولة بأحذيتهم ومرغوا كرامتها فى التراب وذبحوا جنودها ذبح النعاج بعد أن شربوا معهم الشاى.. ومع ذلك فإن حكومة الموالاة تتقبل الأمر بروح من التسامح والتماس الأعذار والمسالمة..

هذا هو الضابط الذى طلبت السفارة الأمريكية رسمياً من حكومة الموالاة اللبنانية تعيينه قائداً لأمن المطار ليتولى بنفسه عملية تفكيك شبكة اتصالات (حزب الله) بدلاً من العميد (وفيق شقير) ذى التاريخ الوطنى المشرف الذى أقالته الحكومة على الفور دون حتى أن تعرض أمره على القضاء.

حسابات الموالاة

●● هل يمكن فى حيادية وموضوعية تفسير حسابات الموالاة فى قبولها ذلك التصعيد المفاجئ والخطير واتخاذ قرارات يعلم الجميع أنها لن تستطيع تطبيقها على أرض الواقع؟

● إذا افترضنا عدم وجود أى معلومات عن التحالفات والترتيبات والتعليمات الموجهة للموالاة والمتعلقة باتخاذ القرارين فإن الإجابة تكون على أحد احتمالين:

الاحتمال الأول: أن يكون ذلك التصعيد تم بناء على تعليمات خارجية صدرت إلى قيادات الموالاة وطمأنتهم أنها ستتولى حمايتهم ودعمهم فى تنفيذ هذين القرارين.. وفى هذه الحال فإن المصلحة العليا للبنان لم تكن هى مطلب الموالاة.. وإنما تنفيذ مخططات أجنبية توصف بالمشروع الصهيونى الأمريكى للشرق الأوسط.

الاحتمال الثانى: أن يكون ذلك التصعيد نابعاً من قرار داخلى للموالاة يهدف إلى مصلحة لبنان العليا.. وفى هذه الحال فالأمر على وجهين، **الأول:** أن تكون حسابات الموالاة خاطئة وغير مدروسة فظنت أن (حزب الله) سيكتفى بالكلام ولن يحرك ساكناً وبهذا فإن الموالاة تثبت سذاجتها السياسية وعدم أهليتها لقيادة البلاد.

الثانى: أن تكون حسابات الموالاة صحيحة وتوقعت من (حزب الله) ذلك الرد الذى من الممكن أن يصل إلى إشعال الحرب دفاعاً عن سلاح المقاومة ودخول لبنان فى آتون حرب أهلية لا تبقى ولا تذر.

●● فإذا كانت حسابات الموالاة صحيحة وتوقعت اشعال (حزب الله) الحرب فبمَ تفسّر ذلك؟

● على المنهج نفسه فى تحليل المواقف فإن الموالاة فى هذه الحال تكون على واحد من وجهين:

الأول: أن يكون لديها قوات قادرة على قهر (حزب الله) وتنفيذ القرارين بالقوة المسلحة وهذا احتمال غير وارد على الإطلاق حيث عجزت إسرائيل وأمريكا معاً عن فعل ذلك.. وعلى فرض صحة ذلك الاحتمال فإن الموالاة تكون قد أشعلت عامدة متعمدة نيران حرب أهلية فى لبنان تأكل الأخضر واليابس ولن تنتهى إلا بتدمير لبنان تدميراً كاملاً.

الثانى: ألا تكون عند الموالاة القوة العسكرية القادرة على تنفيذ هذين القرارين.. فإن كانت تظن أن حلفاءها فى الخارج سيقومون بتنفيذهما نيابة عنها والاصطدام مع (حزب الله) فهى واهمة وساذجة لأن كل القوى الخارجية ليست من السذاجة أن تضع يدها فى فم الأسد الشيعى فى لبنان بعد أن نهش اليد الإسرائيلية ومزقها.. وإن كانت لا تملك القوة العسكرية وتعلم أن حلفاءها لن يتدخلوا لتنفيذ القرارين.. فإن موقفها يكون غاية فى الحماقة والعجب والغرابة لأنها تكون قد أعلنت انتحارها انتحاراً سياسياً ماساوياً وفاجعاً أمام (حزب الله).. وهذا ما حدث بالفعل.

●● فما الأرجح من كل هذه الاحتمالات؟

● الاحتمال الأرجح هو أن ذلك التصعيد جاء بناء على تعليمات خارجية تم توجيهها لقيادات الموالاة وعلى رأسهم (وليد جنبلاط).. فالجميع يعلم أن هناك إجماعاً بين الإسرائيليين والأمريكيين ومعهم من يوصفون بالمعتدلين العرب على ضرورة تصفية المقاومة وسلاحها فى لبنان.. والاحتمال الأكبر أن يكون هؤلاء قد أوعزوا إلى حلفائهم فى الموالاة باعتبارهم يمثلون الحكومة الشرعية بالتحرك لاستفزاز (حزب الله) بعملٍ يجبره على استخدام سلاحه داخلَ لبنان ضد الموالاة.. وذلك لإيجاد ذريعة لأمريكا وإسرائيل ودول ما يسمى بالاعتدال العربى لتدويل الأزمة ورفعها إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن لاستصدار قرارات خبيثة تبيح لهم التدخل عسكرياً لضرب الحزب وإرسال قوات دولية بحجة انقاذ الحكومة الشرعية بزعامة (فؤاد السنيورة)..

فشل الحسابات

ولكن ذلك التخطيط فشل لأمرين:

الأول: التحرك المسلح السريع والحاسم لحزب الله

مقابل تخاذل قيادات الموالاة واستسلامهم السريع والمهين ولجوئهم إلى حصونهم بعيداً عن (بيروت).

الثاني: التحرك السياسي العربي من خلال مؤتمر وزراء الخارجية العرب ثم مؤتمر (الدوحة) الذى انتهى بنجاح باهر للمقاومة وتحقيق كل أهدافها وبالتوافق مع الموالاة التي قنعت من الغنيمة بالإياب.. ولعلنا نتعلم من إيجابيات هذا الدرس فننبذ الفرقة والتنازع استجابة لقوله تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

المكسب والخسارة

●● **بعد انفراج الأزمة وانطفاء النيران.. من الفائز؟.. ومن الخاسر؟**

الفائزون

● **أولاً: المعارضة**، وعلى رأسها (حزب الله) تعتبر الفائز الأول للآتي:

١- حسمت موقف سلاح الحزب وتأكد للجميع أنه بالفعل لا بالقول خط أحمر لا يُمس سواء من القوى الخارجية مثل أمريكا وإسرائيل.. أم القوى الداخلية بمختلف طوائفها.

٢- قضت على الاعتقاد السائد أن أى صراع داخلى يشكل تهديداً للمقاومة ومن الممكن أن يستنزف (حزب الله) ويدخله فى صراعات تنهكه ومتاهات تشتت قواه.. حين استطاع أن يسيطر على الوضع الداخلى بتلك السرعة وذلك الحسم.

٣- أوقفت الموالاة موقفاً جارحاً ومهيناً حين أجبرتها على إلغاء القرارين ولقنتها درساً من الصعب تكراره.

٤- نجحت فى نهاية المطاف فى مؤتمر (الدوحة) فى تحقيق مطالبها الثلاثة: (انتخاب الرئيس بالتوافق- الحصول على الثلث المعطل- تعديل نظام الانتخابات).

ثانياً:الجيش اللبنانى: فاز فوزاً عظيماً حين استطاع أن يحافظ على وحدته وان ينأى بنفسه عن الصراع الداخلى ولم يخضع لاتهام الموالاة له بالتقصير فى التصدى لقوات المعارضة وأكد أنه على الحياد بين جميع الفرقاء.. وكان السبب فى ذلك الفوز هو السياسة الحكيمة والوطنية لقائد الجيش العماد

(ميشيل سليمان).. لذلك وبالرغم من أن الموالاة لم تكن راضية عن وقوفه على الحياد فإن جميع الفرقاء اتفقوا عليه رئيساً توافقياً للجمهورية.

وقد ثبت على أرض الواقع أن قادة الجيش وجنرالاته كانوا أكثر حكمة من معظم السياسيين المغامرين.. وأن قيادة الجيش لو تصرفت بغير ما فعلت أو انصاعت لرغبات حكومة الموالاة بالمشاركة فى الصراع لانفرط عقد الجيش وتمزقت أجنحته ولتصاعدت احتمالات الحرب الأهلية ولما وجدت قيادات الموالاة مقرات آمنة تأوى إليها أو قوات وطنية تدافع عنها.

ثالثاً: الدولة اللبنانية: يعتبر فوزها فوزاً للجميع. فقد سَلِمَت من محنة خطيرة ونجت من فتنة كادت تأكل الأخضر واليابس وتفتح عليها أبواب الجحيم.

رابعاً: مشروع المقاومة: تعتبر تلك الأزمة معركة جديدة كسبتها القوى المنضوية تحت لواء مشروع المقاومة على قوى الموالاة المنضوية تحت لواء المشروع الصهيونى الأمريكى.. وينعكس ذلك الفوز على كل طوائف المشروع وعلى رأسها إيران وسوريا.

خامساً: دولة قطر: اكتسبت تلك الدولة الصغيرة

بمساحتها.. القليلة بعدد سكانها.. احتراماً كبيراً فى تلك الأزمة لم تحصل عليه دول غنية وكبيرة فى المنطقة.. فلقد وقفت بين الفرقاء على الحياد.. ونظرت إلى الأحداث بإنصاف.. فكان لفطنتها وحكمتها الفضل الأكبر بعد الله سبحانه وتعالى فى نزع فتيل الأزمة وتحقيق ذلك الإنجاز الكبير.

الخاسرون

أولاً: الموالاة: خسرت خسارة كبيرة.. وانهزمت هزيمة فادحة.. وتعرضت لمواقف مهينة.. فبعد أن اتخذت قرارين تصادميين وصعدت الأحداث ودفعتها نحو الهاوية ورفعت أصواتها بلهجة الاستفزاز والتحدى.. إذ بها مع أول قرقعة للسلاح تنهار مقاومتها وتتفكك روابطها.. ويغيب قادتها.. وأخيراً أُجْبِرت على إلغاء القرارين جبراً.

ثانياً: دول ما يسمى بالاعتدال العربى: وعلى رأسها مصر والسعودية.. فالدولتان منذ بداية الأزمة تعجلتا واتخذتا موقفاً مؤيداً للموالاة مضاداً للمعارضة ولم تستفدا من التجربة السابقة لهما عام (٢٠٠٦م) حين اشتعلت الحرب بين (حزب الله) وإسرائيل فتعجلتا

أيضاً بإدانة (حزب الله) واتهمتاه بأنه السبب فى إشعال الحرب.. ثم انقلبت الأحوال وانتصر الحزب فخرجت الدولتان خاليتى الوفاض من الأزمة برمتها. لذلك فلم يكن من المستغرب أن نرى أثقل دولتين عربيتين قد غابتا عن مشهد الأحداث بالكامل حتى أنهما لم تُمثُّلا فى لجنة المصالحة.. فى الوقت الذى رأستها دولة قطر.

ثالثاً: المشروع الصهيونى الأمريكى: ضربة شديدة، ونكسة جديدة تضاف إلى الضربات والنكسات السابقة.. انكسار (محمد دحلان) على يد المقاومة الإسلامية فى غزة ثم هزيمة إسرائيل على يد (حزب الله) عام (٢٠٠٦م).. والعجيب والغريب أن رأس المشروع إسرائيل وأمريكا لم يحركا ساكناً ولم يكن لهما أى دور فى صُنع أو وتوجيه الأحداث.

معركة إعلامية خاسرة

●● فى إطار موازٍ للصدام المسلح كانت هناك معركة إعلامية حاولت فيها الموالاة ومن يدعمها من خارج لبنان تصوير ما أقدمت عليه المعارضة بأنه (انقلاب عسكرى على الدولة).. وبأنه (احتلال لبيروت).. وبأنه (صراع طائفى بين السنّة والشيعة).. فما نصيب تلك الاتهامات من الصحة؟

● الحقيقة أن هذه الاتهامات عارية تماماً من الصحة ويمكن تفنيدها دون عناء وذلك على النحو التالى:

١- الانقلاب: هو استيلاء جماعة من داخل الوطن على الحكم بقوة السلاح وما يتبع ذلك من الاستيلاء على المراكز الحيوية فى الدولة مثل مراكز الحكم والجيش والإعلام.. ثم إلغاء السلطة القائمة وإعلان قيام سلطة جديدة فى الدولة.. وطبعاً هذا لم يحدث فى لبنان.. فاستخدام المعارضة للسلاح اقتصر فقط على الاستيلاء على مكاتب ومراكز الموالاة فى بيروت ثم تسليمها للجيش وعندما دعا الجيش إلى إخلاء بيروت من المسلحين استجابت المعارضة على الفور.

وفى المقابل فإن الموالاة استولت على مكاتب ومراكز المعارضة فى الشمال فى مدينة (طرابلس).. فهل يمكن أن نتهم الموالاة بأنها قامت بانقلاب فى (طرابلس) مقابل انقلاب المعارضة فى (بيروت)؟!!.

٢-الاحتلال:هو غزو قوة أجنبية مسلحة لأراضى الوطن وقهر جيشه والاستيلاء على مقدراته وحكمه بقوانينها.. فكيف يمكن للمعارضة وهى قوة وطنية أن تحتل مدينة (بيروت) وهى من سكانها أصلاً؟ وهل يمكن فى المقابل وصف اعتداء مسلحى (تيار المستقبل)

التابع للموالاة على (الحزب العربى الاشتراكى) التابع للمعارضة وقتل بعض عناصره واحتلال مراكزه ومكاتبه في مدينة (طرابلس) بأنه احتلال للمدينة؟!!

٣- الصراع الطائفى: الحقيقة أن هذا الأمر بالذات عارٍ من الصحة بشكل واضح وبصورة تدعو للرثاء.. فالصراع الطائفى هو صراع بين مذهبين متباينين أو طائفتين مختلفتين بشكل كامل مثل أن يكون بين طائفتى المسيحيين والمسلمين. أو بين مذهبى السُنَّة والشيعة.. وما حدث فى بيروت يختلف عن ذلك بالكامل.. فمن المعروف للجميع أن كلاً من الموالاة والمعارضة تضم كل ألوان الطيف الطائفى والمذهبى بين صفوفها ولا يقتصر أى منها على طائفة واحدة أو مذهب واحد وذلك على النحو التالى:

المعارضة: تضم بين أطيافها (حزب الله) بزعامة (حسن نصر الله) و(منظمة أمل) بزعامة (نبيه برى) من الشيعة.. و(التيار الوطنى الحر) بقيادة (ميشيل عون) و(تيار المردة) بزعامة (سليمان فرنجية) من المسيحيين الموارنة.. و(جبهة العمل الإسلامى) بزعامة (فتحى يكن) و(اللقاء الوطنى) بزعامة (عمر كرامى) من السُنَّة.. ويضاف إلى ما سبق الأمير (طلال أرسلان)

رئيس (الحزب الديموقراطى اللبنانى) و(وئام وهاب) من الدروز.

الموالاة: تضم بين أطيافها (تيار المستقبل) بزعامة (سعد الحريرى) من السُنَّة.. و(القوات اللبنانية) بقيادة (سمير جعجع) و(حزب الكتائب) بزعامة (أمين الجميل) من المسيحيين الموارنة.. و(الحزب التقدمى الاشتراكى) بزعامة (وليد جنبلاط) من الدروز.. يضاف إلى ذلك عدد من مثقفى ورموز الشيعة.

إذن فإن كلاً من الموالاة والمعارضة تضم سُنَّة وشيعة ودروز ومسيحيين.. فهل يمكن بعد ذلك أن يقول عاقل أو منصف إن الصراع بينهما طائفى أو مذهبى أو أنه صراع بين السُنَّة والشيعة؟!!.. بالتأكيد إن هذا دليل على أن هذا الادعاء كاذب ومفضوح.. وللأسف الشديد نرى بعض المسلمين يوهمون أنفسهم بصحته وسلامته.. بل يروجون له. والحقيقة أنها معركة شاملة صريحة بين مشروعين متضادين واتجاهين مختلفين هما المشروع الأمريكى الصهيونى وتتبناه الموالاة.. ومشروع المقاومة وتتبناه المعارضة.

وفى هذا المقام فقد صرح الجنرال الإسرائيلى (عاموس جلعاد) بأن الأغلبية الساحقة من اللبنانيين

والعرب غير مقتنعين بمحاولة الحكومة إظهار الصراع فى ثوب طائفى.. وبأن (حـزب الله) نجح فى إقناع غالبية اللبنانيين والعرب أن الصراع يدور صراحة بين حلفاء الولايات المتحدة والمدافعين عنها من جهة.. والمقاومة من جهة أخرى.. وليس بين أمريكا وإيران.. كما نجح فى إبراز العديد من قادة الموالاة فى لبنان على أنهم عملاء متعاونون مع إسرائيل.

إسرائيل والأحداث

●● فما علاقة إسرائيل بأطراف الأزمة ورؤيتها لتطور الأحداث؟

● أجرى موقع (فيلكا) المختص بالشئون الاستخباراتية الإسرائيلية حديثاً مع الرئيس السابق للمخابرات الإسرائيلية العسكرية (أهارون زئيفى) علق فيه على ما يجرى فى بيروت فقال: لقد نَصَحْنا المخابرات الأمريكية بعدم الاعتماد على (وليد جنبلاط) أو على (سعد الحريرى) لأننا جربناهما فى عام (٢٠٠٦م) وتبين أنهما لا يملكان الجرأة أو القدرة على مواجهة (حزب الله).. وأضاف زئيفى: لقد دربت إسرائيل رجال (جعجع) أحسن تدريب وسيظهر فى أى مواجهة مقبلة أن مقاتليه سوف يصمدون وقتاً أطول

في مواجهة (حزب الله) ولكنهم سيُهْزَمون في النهاية ثم أضاف: نحن والأمريكيون في مأزق لأنه لا قوة في لبنان قادرة على ضرب (حزب الله).. ولا نحن جاهزون لضربه.. ونحن والأمريكيون لسنا على استعداد للتورط بأكثر من إرسال طواقم حراسة لمراكز إقامة كل من السنيورة والحريرى وجنبلاط.

وعندما سُئِل زئيفي: هل سينزل الأمريكيون في بيروت؟ قال: هذا ما قالته (كوندوليزا رايس) للسنيورة حين اتصل بها.. لقد كان منهاراً جداً ومتهِماً جبنلاط بالجبن والهرب من المعركة فوعدته بأن تحصل من بوش على أمر رئاسى بإرسال المارينز لحراسة مقره فقط في وسط بيروت.

ووجه الموقع الإسرائيلى سؤالاً إلى (زئيفى) عن تفسيره فشل تدريب قوات (سعد الحريرى) على يد الأردنيين.. فأجاب: إن إرادة القتال غير موجودة لديهم.. فالعامل الأساسى لكسب أى معركة هو رغبة المقاتل في خوضها والموت من أجل الهدف الذى يقاتل من أجله.. وهذه الإرادة موجودة عند جميع مقاتلى (حزب الله) على مختلف المستويات.

ثم أكمل المسئول الإسرائيلى فقال: يبدو أن (رايس)

قد تأثرت بكلام السنيورة وعويله ولكن من الناحية العملية فإنه يلزمك جنود بعدد الموجودين فى العراق لتواجه (حزب الله) فى قلب لبنان بكامله.. لقد نجحت قوات (حزب الله) المحترفة فى العامين الأخيرين فى تدريب عشرات الألوف تدريباً عالياً.. وهم قادرون على حشد مائة ألف مقاتل فيما يعرف عندهم باسم (سرايا المقاومة)..

وسُئِل (زئيفى) عن (سمير جعجع) فقال: هو على علاقة صداقة مع (أوزى آراد) الرئيس السابق للموساد وقد اتصل به مؤخراً و كان جعجع منهاراً بسبب الوعود الكاذبة لحلفائه.

حقيقة الصراع

●● **فما حقيقة الصراع وأصل الخلاف بين الموالاة والمعارضة فى لبنان؟**

● إن كل ما حدث فى لبنان وما حدث قبله فى غزة وما يحدث فى العراق ما هو إلا قمة جبل الجليد الذى يختفى منه أضعاف أضعاف ما يظهر.. والحقيقة أن طرفى الصراع فى كل ما سبق يجسدان مشروعين أساسيين متضادين فى المنطقة العربية:

المشروع الأول: هو المشروع الصهيونى الأمريكى الذى

يهدف إلى السيطرة على المنطقة العربية وفرض الحلول الاستسلامية عليها فى جميع قضاياها وترسيخ الهيمنة الصهيونية والتفوق العسكرى الإسرائيلى على جميع الدول العربية مجتمعة من خلال تمزيقها وتفتيتها فيما يعرف باسم (الفوضى الخلاقة).. وهذا المشروع تتزعمه أمريكا وإسرائيل ويضم دول ما يسمى بالاعتدال العربى وفريق الموالاة فى لبنان والسلطة الفلسطينية فى الضفة الغربية وحكومة المالكى فى العراق.

المشروع الثانى: هو مشروع المقاومة ويتبنى التصدى للمخطط الأمريكى وضربة وإفشاله.. وهذا المشروع تتبناه إيران وسوريا و(حزب الله) فى لبنان والمقاومة الفلسطينية والمقاومة العراقية.

●● فهل يستسلم المشروع الصهيونى الأمريكى للخسارة؟ ولماذا؟

● بالتأكيد إن هذا الانكسار هو خسارة كبيرة للمشروع الأمريكى في الشرق الأوسط مقابل مشروع المقاومة.. بل إن كثيراً من المراقبين يرون أن ذلك المشروع فى طريقه للانحسار أمام مشروع المقاومة المتعاظم.. ومع ذلك فإن ذلك الانحسار لن يتم بسلام وتسليم من الإسرائيليين والأمريكان.. وإنما ستشهد

شعوب المنطقة هجمات شرسة وحروباً طاحنة حتى يتم هذا الأمر وذلك لسببين:

الأول: أن مشروع المقاومة يستهدف على المدى البعيد إزالة الكيان الصهيونى واستعادة أرض فلسطين بالكامل وإجبار اليهود على العودة إلى بلادهم الأصلية التى جاءوا منها.

الثانى: أن نجاح مشروع المقاومة يعنى تدمير مصالح اليهود والصليبيين فى المنطقة وعودة ثرواتها إلى أيدى أصحابها وعلى رأسها الثروة النفطية مما يعنى حرمان اليهود والغرب الصليبى من إمدادات النفط الآتية من منطقة الخليج والتى تمثل ٤٠٪ من إنتاج العالم مما يعرض الاقتصاد الغربى بل الحضارة الغربية بكاملها للانهيار.

لذلك فإن إسرائيل وأمريكا لن يستسلما بسهولة لأى خطوات تؤدى إلى انهيار مشروعهما وأنهما سيضربان بكل قوة وعنف كل ما ترياه أو من ترياه داعماً لمشروع المقاومة سواء فى لبنان أم غزة أم العراق وسواء كان ذلك بالقوة العسكرية أم بالحيلة والمكر والتآمر والدهاء.. وقد تمتد الحرب إلى سوريا وإيران.

الخاتمة

وختاماً فإننا نؤكد أنه مهما طال الأمد، ومهما كانت التضحيات، فإن نصر الله آت، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وصدق رسولنا الكريم إذ يقول: "إن هذا الدين بالغ ما بلغ الليل والنهار بعز عزيز أو بذل ذليل" غير أن الأمر يحتاج إلى تضحيات في سبيل هذا الحق، وذلك حيث يقول الحق سبحانه: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾، وحيث يقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

وإلى أن يتم النصر إن شاء الله تصديقاً لوعده سبحانه وتعالى وينهار ذلك المخطط الشيطاني ضد الإسلام والمسلمين.. وإلى أن ينتصر (حزب الله) من المؤمنين على (حزب الشيطان) من اليهود والصليبيين وأعوانهم في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان وكل بلاد العرب والمسلمين.. علينا أن نتعلق بحبل الله تعالى وأن نلتزم بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾..

وإن نصر الله لآت.. وإن غداً لناظره قريب.

المحتويات